الجزء الثاني — المجلد الثامن والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العربي

١ نيسان« ابريل » سنة ١٩٦٣ م — ٨ ذي القعدة سنة ١٣٨٢ ﻫ

الفكر الفلسفي واللغة العربية (١)

لقد كفانا الباحثون الاختصاصيون من علماء النفس وعلماء الاشتقاق مؤونة البحث عن علاقة الفكر باللغة وانتهوا إلى تقرير صلات عضوية ملتحمة بين التفكير الذي هو طريقة تصورنا للوجود في جملته — بما في ذلك تصور الذات — وبين اللسان على اعتباره أداةً لنقل ذلك التصور وإبلاغه للآخرين . ولهذا جاز ، من حيث المبدأ ، ان يدور بحث عن طبيعة العلاقة بين فكر ما كالفكر الفلسفي ولغة ما كاللغة العربية . ولذلك أثار بعضهم مشكلة من النوع التالي : هل اللغة العربية أداة ميسورة مطواعة للتفكير الفلسفي ؟ وإلى أي حد يمكن اعتبار هذه الأداة كاملة بالقياس إلى اللغات الأخرى ؟ وأبادر فأعترف لكم ،

(١) محاضرة عامة ألقيت على مدرج كلية الآداب الكبير بجامعة الرباط مساء الاثنين العاشر من كانون الأول سنة ١٩٦٢ .

أيها السادة ، أنه قد يبدو لبعضكم أن من باب المفارقة العجيبة إطلاق لفظ « مشكلة » على مثل هذا التساؤل ، وأنتم على حق في هـذا العجب لأنكم تعلمون مبلغ إيمان العرب أجمعين باتساع هذه اللغة الشريفة التي شاء لها شاعر النيل حافظ إبراهيم أن تنشد :

وسعت كتاب الله لفظاً وغايةً وما ضقت عن آيٍ به وعظات

وناهيكم بها سعة تروعنا ، نحن الناطقين بالضاد ، وتملأ أذهاننا وقلوبنا وأرواحنا إعجاباً وفتنة وسحراً . بيد أن الأمة العربية بالبداهة ليست وحيدةً في هذا الكون ، وهناك إلى جانبها أمم أخرى ذات شأن لا تشعر بأي « مركب نقص » تجاهنا رغم أننا نطويها جميعاً تحت لفظ « الأعاجم » . بل إن من هذه الأمم مجموعةً لا يستهان بها تمضي إلى أبعد من ذلك فتنفس علينا ملكة الإفصاح وحسن التعبير . ومنها من يجادل في قابلية بياننا الصريح لأداء الفكر الذي يرقى عن أغراض الحياة الدنيا إلى أسماء التجريد زاعماً أن العلم يدلل على ذلك . وإذا كانت الفلسفة أرقى أشكال التفكير المجرد كما هو معلوم (اذكروا كيف كان أريستوفان يمثل سقراط في محنة معلقة بين السماء والأرض) وإذا صح قول جان سكوت اريجين أن ما من أحد يلج ملكوت السموات إلا من باب الفلسفة ، فمعنى ما تقدم أننا عاجزون عن الرقي إلى أجواء التفكير الجدي والنظر العقلي ، وأننا — في تلك الميادين الرفيعة — مقضيٌّ علينا أن نظل ، كالطيور زُغب الحواصل ، قاصرين مقصّرين . وحسبكم من تأكيد كهذا يُرسل باسم العلم أن مآله إلى سُبّة دائمة على وجه الدهر تلحق بأمة تعتبر نفسها خير أمة أخرجت للناس . ولو لم يكن من خطر هذه الوصمة إلا أنها تشكك المرء بقيمة ذاته ، فضلاً عن تشكيك الآخرين بمثل تلك القيمة اكتفى بذلك حافزاً إلى نخلها وتمحيصها ورَجْع البصر فيها كرّتين . وإذن ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نحن نحب في هذه المحاضرة أن نعالج هذه المشكلة متدبّرين وجوه القول فيها، عارضين عليكم حجج أصحابها بصورةٍ موضوعية، ثم معترضين على ما يكون فيها من مواطن الضعف لا مسوقين بفكرةٍ سابقةٍ ولا صادرين عن غرورٍ واهم أو عصبيةٍ عمياء، وإنما نمارس في هذا عملية النقد بالمعنى المنزّه عن الغرض الذي كان البدوي الأول أسرع إلى استعماله يوم قال في ناقته:

تنفي يداها الحصا في كل هاجرةٍ نفي الدراهم تنقادُ الصياريفِ

إلا أن هذه العموميات ممعنة في التبسيط، والمشكلة أعقد مما نظن، فهي محتاجة إلى جهد تحليلي قد يؤول إلى عكس ما يتبادر إلى الذهن — باديَ الرأي — من أن اللغة مرآة الفكر، فلنثنِ مصباحنا قليلاً قبل الدخول في جوف الموضوع، ولنضع الصورة في إطارها العام.

ولنبتدئْ فنقرر أنه لم يعد يجادل أحد اليوم في معضلةٍ طالما شغلت الباحثين، وهي التساؤل عن اللغة أهي وحي نزّل كاملاً على قلوب طائفةٍ من بني آدم ولا يدَ لهم في تبديل خلقه، أم هي مجرد اصطلاح اتفق عليه البشر اتفاقاً بصورةٍ من الصور. وقديماً خاض الإمام السيوطي صاحب المزهر في هذه المسألة بالتطويل وعرض لآراء من يقولون إنها «توقيف» متخذين دليلاً من قوله تعالى: «وعلم آدم الأسماء كلها»، ثم بيّن حجج مَنْ جزَموا بأنها «وضع» و«تواطؤ». كما أن مفكري العصور الحديثة لم ينتهِ الجدل حول هذا الشأن. ومن أواخر أصحاب النظرة الأولى التي تجعل اللغات ضروباً من السجايا الغريزية موهوبةً من تلقاء الفطرة البيولوجية جوزيف دوميستر و دوبونالد، ومن الذين جعلوها غريزةً عقلية رونان و تين. إلا أن اتجاه العلم البسيكولوجي والسوسيولوجي الحاضر قائم على التسليم بأنها وضع اجتماعي لا مجال للشك فيه. وعلى الرغم من أن تقرير هذا الأمر ينفي كون اللغة ظاهرةً «حيوية»

تتفاوت بتفاوت العروق وتستلزم تثبيتاً لهذا ان تطورها راجع إلى قوانين خارجة عن جبلة البشر الطبيعية وحتى عن إرادتهم الاعتباطية ، فإن مما لا جدال فيه أيضاً أن اللغة لا تقوم إلا في الأذهان وأن ذلك التطور لا معنى له إلا إذا تم في أفهام تتفاعل ديناميكياً مع ما حمل إليها ، فمن هنا ، كانت للمعضلة جانب نفسي يجب أن يؤخذ في الاعتبار ؛ ولا بد من إدخال عوامل تصورية ذاتية إلى جانب عوامل التطور الخارجية الموضوعية . وهذه المسألة هي ما اعتمده رجل مثل السيد ڤاندرييس عميد كلية آداب باريز السابق ، وهو من أئمة علم الاشتقاق في كتابه الشهير (Le langage) .

ذهاباً من هذه النقطة ، خاض العلماء في طبيعة اللغة وصلتها بالتفكير ، ولاحظوا أن اللغة إنما هي تعبير رمزي عن التأثرات الداخلية للكائن الحي . فالانفعالات المختلفة التي تختلج في صدور الأحياء لا تلبث في مبدأ أمرها أن تتلبس سحنة ظاهرة تتجلى بالملامح لكي تفصح عن ذاتها للآخرين . وما ائتلاق الحدق ، وانتفاخ الأوداج وتحريق الأرم وجلجلة الصوت إلا آيات عفوية أولية بها يتميز الحيوان من الغيظ . لكنه متى يتم للكائن الذكي مستوى عقلي مرتفع من شأنه القدرة على التحكم الإرادي بالصوت جاعلاً إياه إشارة على غرض من الأغراض الباطنة ، أي عندما تتوفر للفرد ملكة الربط بين اللفظ والمعنى يصطنع النطق المفيد أو لغة الخطاب سبيلاً للإبانة عن ذات نفسه . نعم إن هناك أحوالاً من التفكير أشار العلم البسيكولوجي إلى استحالة تلبسها بثوب البيان الكلامي وهذا ما أشار إليه المتنبي منذ ألف سنة في بيته الخالد :

رُبَّ ما لا يعبِّر اللفظ عنه والذي يُضمر الفؤاد اعتقاده

ولكن الحال السوية والعامة إنما هي اتخاذ القول وسيلة للإفادة عن المشاعر ، وإن يكن من الواجب التحفظ على هذا الإطلاق بالصيغة التي أجملت في بيت الحطيئة على نحو عبقري :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جُعل اللسان على الفؤاد دليلاً

كيف كان الأمر فإن الألسنة تظلّ الأدواتِ الوحيدةَ لإبلاغ المقاصد؛ وإن شئتم فقولوا إنها ضروب من « التكنيك » نستعين بها على الخروج من ذواتنا والنفاذ إلى الآخرين . وهي ، ككل ضروب التكنيك قيمتها متوقفة على درجة صلاحها للوصول إلى الغرض الذي ابتُغيت من أجله . وعلى مقدار حظّها من التطور (الذي هو مرتبط بمبلغ مرونتها وقابليتها للتكيُّف) يكون نفعها وجدواها ومردودها . فاللسان المتطور إنما هو ذلك الذي قدّم للفكر من بين جميع المخطّطات و « السيمياوات » الصوتية الممكنة خيرها للترجمة عن الدقائق الخفية التي تدور في خلده ؛ هو ذلك الذي وفّر لصاحبه بما وضعه في يده من آلات التحليل قدرةً على تمييز مفاصل الفكر تمييزاً واضحاً بيّناً ؛ هو ذلك الذي وُفّق لاختراع قوالب في التعبير تنصبُّ فيها المعاني بيُسر وسلامة ، ولكن دون أن يورثها القالب من جرّاء صلادته تحجّراً لا سبيل معه إلى نموّ حيّ ، وبعبارة أبسط هو ذلك الذي تجاوب مع التفكير في حركته الموّارة فلم يعوّق مجرى تلك الحركة بل أعانها على التقدّم المطّرد .

ولعلّ هــذه الخصلة التي أتينا على بيانها هي التي دعت إلى قيام علم اللغات المقارن لتتضح الخصائص المميزة لكل لغةٍ من اللغات فتتجلّى بذلك خصائص نكر أصحابها ، وعندها يحصل التساؤل بصورة طبيعية : أيُّ الألسنة أدّى دوره خير أداء ؟ وأيها أحقّ أن يصطنع لكونه أدنى إلى المثل الأعلى وأشدّها تكاملاً إن لم يبلغ مرحلة الكمال ؟

والواقع أن قد أجريت بالفعل أبحاث مستفيضة في فقه الألسنة (في مظهريها السيمانتيكي والمورفولوجي) واستندت هذه الأبحاث على دراسة المعاجم من جهة ، وعلى دراسة الآجرّوميات من جهة أخرى . وانتُهي فيها إلى حقائقَ ثمينةٍ بالنسبة

إلى أكثر اللغات . ولست بحاجة إلى أن أشير إلى الجهد المنقطع النظير الذي بذله علماء العربية الأقدمون في هذا الميدان ؛ وإن كتباً كخصائص ابن جني و « مجمل » ابن فارس و « مزهر » السيوطي هي من الكنوز النادرة التي لا تقل في شأنها بالنسبة للغتنا عن شأن كتاب ككتاب برونو الشهير « الفكر واللغة » [١] بالنسبة للسان الفرنسي . إلا أن هذه الدراسات على جلالة قدرها أشبه بأن تكون « مونوغرافيات » أو تحاليل مستقلة للغة بعينها . وليس يقوم علم اللغات المقارن إلا إذا كانت هذه التحاليل استقصائية تستغرق لغات الأرض بحذافيرها فلا تدع منها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها واستوفتها دون تفريط في جانب من الجوانب ليمكن بعد ذلك قيام « تركيب » سليم بالمعنى العلمي الصحيح . وعلى الرغم من أن تركيباً علمياً كهذا لم يُتوصَّل إليه ، فإن المحاولات الجدّية التي باشرها أصحاب فقه اللغات المقارن أسفرت عن بعض الحقائق الخطيرة . ومن هذه الحقائق حقيقة أحب أن أشير إليها بصورة خاصة نظراً لأهميتها بالنسبة للموضوع الذي نعالجه ، وهي عدم التوازي بين المنطق والآجرومية . أي أن نظام الفكر وقواعد العبارة غير متلازمين ولا متساوقين . ولذلك استوى من حيث القيمة تقديم الفعل على الفاعل في بعض اللغات وتأخيره عنه في بعضها الآخر ، على الرغم من قيام ترتيب منطقي بينهما من حيث الأصل . وبتعبير آخر ، إن « مقولات » المنطق (وهي العلاقات الصورية المختلفة التي يعتبرها الفلاسفة سائدةً للتفكير : كالكيف والكم والجوهر والعرض الخ . .) لا تطابق « مقولات » النحو وهي أجناسه الكبرى إن صحّ التعبير (كالاسم والفعل والحرف والتذكير والتأنيث والبناء والصرف والإفراد والتعديد واللزوم والتعدية وهلم جرا) فهناك — من جهة — لغات تتفاوت في عدد الصور النحوية

(١) Brunot, La pensée et la langue

زيادةً ونقصاً ، والتثنية التي عندنا بالعربية لا وجود لها بالفرنسية . كما أن في بعض اللغات مدلولات لا جنس لها (شأنها كشأن الملائكة) أي أن أرباب تلك اللغات يزيدون على ما عندنا شيئاً « حيادياً » لا ندخله نحن في تأنيث ولا تذكير . ومن جهة ثانية ، ليس لبعض أنحاء التفكير صور نحوية إلا في بعض اللغات فقط . ولئن كانت أكثر اللغات متسعة لمقولات التقليدية (كالعشر الشهيرة عند أرسطو) فما أبعد مقولات ذهن كذهن « كانط » أن تجد لها كفاءً في سواء اللغات المتطورة العريقة في المدنية بَلْهَ الابتدائية .

إن لهذه الملاحظة في نظرنا لأهمية ممتازة بصدد ما نحن آخذون فيه . ذلك أنه لو صحّ بمعنى الكلمة الحرفي أن اللغة مرآة التفكير لعكست آجرومياتُ لغاتِ المتمدنين صورةَ منطقهم السليم . والحال أن أهل تلك اللغات الراقية يشاركون غيرهم من أهل اللغات الموهوم بها التقهقر « لا منطقية » نحوهم على الأقل . وإذن فقد بطل الزعم أن الألسنة مرايا الأفكار فيها ينعكس ظلها وشكلها وهيئتها بل شخصيتها الصحيحة حتى لكأن الناظر إلى التمثال والصورة قد شاهد عين الذات في أصالتها الأولية . ويترتب على هذا — وهنا بيت القصيد — القيمة النسبية فقط التي يجب أن نوليها لضرب من الأبحاث ناجم عن تلك النظرات المبسطة : ذلك هو أمر بسيكولوجيا الشعوب المستندة فيما تستند إلى اللغويات المقارنة . إن بعض علماء اللغات المغرمين بالكشوف الطريفة قالوا بإمكان قيام سيكولوجيا « فرقية » لشعب من الشعوب بالاعتماد على طرائق تعبيره اللغوية والتغييرات اللاحقة بمدلولات ألفاظه . ونقطة الانطلاق في هذا النهج إنما هو الافتراض بأن اللغة من صنع العقل الجماعي فلا بد أن تكون مستودعاً يستقر فيه كل ما نشأ عن هذا العقل من آثار . ومن أمثلة ذلك انصرافهم إلى تفحص لغات غنيّ وفقراً من حيث التراث اللفظي الذي يدل

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

على تنظيم بدوي أو حضري والنهوض به دليلاً على عقلية غريزية معينة . فإذا اتفق للإنكليزية أن كانت غنية بالألفاظ الاقتصادية ، زعم الزاعمون أن أهلها « مفطورون » على التجارة ، أو اتفق لليونانية رصيد موفور من الألفاظ المجردة وللعبرانية حصيلة لا بأس بها من الألفاظ الدينية قال القائلون : لأمر ما كانت الفلسفة في يونان والنبوءات في بني إسرائيل ! لا جرم أن النقاد أجازوا مباشرةَ مثل هذا البحث إلى حد ما من حيث أن هناك لونيات خاصةً نفسيةً واجتماعية تُفصح عنها دراسة خصائص لغة قوم من الأقوام ؛ ولكنهم أَبَوْا أن يُقِرّوا (وهذا موقف ڤاندريس [١]) بأن تكون معياراً يمايزون به العقلية القومية أعرق من العروق . ولئن طاب لنا مثلاً أن نستشف من وراء إطلاق أسماء الحيوانات على الأشخاص عند الألمان أو الفرنسيين ميلاً نفسياً عند هؤلاء وأولئك فنتخذ منه شاهداً بحسب الأحوال على عقليتهم المتميزة بالتهكم أو المداعبة أو الاحتقار أو الشتيمة ، فإنه مما لا يجوز بحال من الأحوال أن نتخذه سبيلاً نسقياً إلى بسيكولوجيا عرقية كتلك التي باشرها إرنست رونان (Renan) بحق الساميين — والعرب جزء منهم — والتي سنتناولها بشيء من التفصيل . ولكن قبل أن نمضي لشأننا نحب أن نفتح معترضةً تاريخية فنشير إلى أن القضية ليست جديدةً علينا ، نحن العرب ، وأن تاريخنا الأدبي قد سجل منذ القديم آثار المقارنة بين العرب وغيرهم من الأقوام من زاوية اللون المميز للتفكير أو الهيئة التي تبدو بها على الألسنة ثمار القرائح . ومن أمتع ما في هذا الباب كلام الشهرستاني من رجال القرن السادس الهجري (الثاني عشر م .) فقد قال في الملل والنحل [٢] : « من الناس من قسم أهل العالم بحسب الأقاليم السبعة ، وأعطى

(١) راجع ص ٢٤٥ Vendryes, *Le langage*.
(٢) راجع طبعة ليبزغ ص ٣ . وكذلك مصطفى عبد الرازق ، تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية (الطبعة الثانية) ص ٣٣ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أهل كل إقليم حظه من اختلاف الطبائع والأنفس التي تدلّ عليها الألوان والألسن . ومنهم من قسمهم بحسب الأقطار الأربعة التي هي الشرق والغرب والجنوب والشمال ، ووفر على كل قطر حقه من اختلاف الطبائع وتباين الشرائع . ومنهم من قسمهم بحسب الأمم فقال : كبار الأمم أربعة : العرب والعجم والروم والهند ثم زاوج بين أمة وأمة فذكر أن العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد وأكثر ميلهم إلى تقرير خواص الأشياء والحكم بأحكام الماهيات والحقائق واستعمال الأمور الروحانية . والروم والعجم يتقاربان على مذهب واحد وأكثر ميلهم إلى تقرير طبائع الأشياء والحكم بأحكام الكيفيات واستعمال الأمور الجسمانية » وسواء أُحمِل هذا النص — كما فعل أحمد أمين في فجر الإسلام (ص ٤٩) — على محمل الشبه بالرأي الذي قرره بعض المستشرقين من أن « طبيعة العقل العربي لا تنظر إلى الأشياء نظرة عامة شاملة » أم لوحظ فيه — بمثل براعة مصطفى عبد الرازق — استعداد العرب وميلهم إلى « الأحكام الكلية والأمور العقلية والمجردات » ونزوعهم إلى « الروحانيات » ، فإن فيه التفاتاً إلى قيام رابطة من شأنها أن تتميز بالدقة والإحكام بين تفكير العرب ومظهر هذا التفكير . وقد سبق لصاعد الأندلسي (المتوفى قبل الشهرستاني بزهاء بضعة عقود من السنوات) أن تحدث بهذا المعنى في طبقات الأمم [1] فقال عن العرب : « وأما علم الفلسفة فلم يمنحهم الله عز وجل شيئاً منه ، ولا هيأ طباعهم للعناية به . ولا أعلم أحداً من صميم العرب شهر به إلا أبا يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي وأبا محمد الحسن الهمداني » . هذا ، ولا نفتأ أن ننبه في هذا المقام على موقف ابن خلدون حول المقارنة التي نحن

(١) ص ٤٥ (طبعة بيروت) .

بصددها ، ذلك الموقف الذي ربما رُمي بالشعوبية من أجله – ولكن ظلماً وبهتاناً – . فالمعروف أن الرجل خاض في انصراف العرب عن الفلسفة والعلوم العقلية . ولكن التحليل الدقيق الذي تجلّت به نظرية مفكرنا العبقري الفذّ إنما يستند إلى الشرائط الاجتماعية التي أحاطت بالعرب من جرّاء « أحوال السذاجة والبداوة » ثم مشاغل الرياسة و « القيام بالملك » و « والأنفة عن انتحال العلم حينئذ بما صار من جملة الصنائع » [1] أكثر مما يعتمد على اعتبارات عرقية راجعة إلى الجبلّة الأصلية ..... ولعلّ في وسعنا أن نصل بين كل دعوى من هذا القبيل وما كان جرى على قلم الجاحظ في البيان والتبيين (ج ٣ ص ١٣/١٢) فقد قرر أبو عثمان صادراً ولا شك عن أسلم نابع وأطيب نية « أن كل كلام للفرس وكل معنى للعجم فإنما هو عن طول فكرة ، وعن اجتهاد وخلوة ، وعن مشاورة ومعاونة ، وعن طول التفكير ودراسة الكتب ، وحكاية الثاني علمَ الأول ، وزيادة الثالث في علم الثاني ، حتى جمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم . وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام » .

بعد هذا الاستطراد التاريخي الذي لجأنا إليه ، نرتدّ إلى صلب الموضوع لنستعرض رأياً خطيراً لا يزال يتمتع بالأهمية حتى يومنا هذا ؛ بل لعل أهميته اليوم أشد خطراً مما كانت عليه أيّ يوم .

منذ قرن من الزمان كتب المستشرق الفرنسي الكبير أرنست رونان كتاباً اسمه (مترجماً للعربية) « تاريخ عام ونُظُم مقارن للغات السامية » . ولقد طارت شهرة هذا الكتاب وأصبحت مادته زاداً يَطْعَمُه كلٌّ من تناول أمتنا ولسانها برأيه ولسانه . ومحصّل ما ادعى إليه من مذهب في أمرنا يقوم على اكتشاف دعوىً واحدة كانت له بمثابة المفتاح يفتح به أبواب التعليل جميعاً

---

(١) ص ٥٤٠ (طبعة بولاق) .

ألا وهي دعوى «الوحدانية» التي هي آية السذاجة والبساطة في العقل السامي . الساميون موحّدون بالطبيعة ، والتوحيد من شأنه البساطة والسذاجة فعلى ذلك تخريج كل الاستنباطات التي ولدها بنبوغه وطول باعه في الفيلولوجيا . ومن ذلك أن الساميين لا يمكن تعريفهم إلا بالسلب : ليس لهم — والعرب أصفى عناصرهم — لا علم ، ولا فلسفة ، ولا شعور بالمسْرَحِيّات ، ولا خيال خلاّق ، ولا فنون تشكيلية ، ولا آداب ملاحم ، ولا أساطير تُبنى على التصور ، ولا سياسة معقدة ، ولا تنظيم مدني ولا عسكري ، ولا أخلاق موضوعية . شعرهم رتيب وذاتي ، وفكرهم ينقصه التطلع والمتناقضات لا تفعل فيه : ترى العربي أمام الروايات العجيبة والمشاهد المذهلة خلواً من كل تفكير مكتفياً أن يقول لك : إن الله على كل شيء قدير ! كما أنه في حالات الشك بين المذاهب المتناقضة ، يفرّ من حيرته بقوله : والله أعلم . . . ومن غير الوارد أن تحتجّ للعرب بما لديهم من فلسفة ؛ إنما هي تلفيقات منتزعة من الاغريق كتبت بالعربية ، وليس لها أصل ولا « جذر » في شبه جزيرة العرب ، لأن العرب غير قادرين على شيء من التعقيد والتركيب ؛ فبدلاً من اعتبارها نتاجاً طبيعياً لعقل ساميّ ، أَوْلى بالمرء أن يعتبرها بمثابة ارتكاس على الاسلام واجهته به عبقريةُ الفرس الهندو - أوروبية [١] .

ولقد مضى رونان إلى اللغات يستمدّ منها تأييد هذه الدعوى فلاحظ أن اللغات الآرية هي لغات التجريد والميتافيزياء ، على حين أن اللغات السامية لغات الواقعية والحسّ . وهذا نموذج من كلامه : « إن اللغات الآرية تنزع قبل كل شيء إلى المثالية [. . .] وذلك بمرونتها الرائعة ووجوه إعرابها المختلفة ،

---

(١) راجع الفصل الأول من كتابه (الطبعة ثالثة) :

E. Renan, *Histoire générale et système comparé des langues sémitiques*

وأدوات ربطها الدقيقة ، وكلماتها المركبة ، وعلى الأخص ، أسرها العجيب فيما يعرف عند اللغويين بـ « القلب » (Inversion) تلك الطريقة التي تتيح الاحتفاظ بنظام الأفكار الطبيعي دون إضرار بالعلاقات النحوية . أما إذا تأملنا اللغات السامية ، فسرعان ما يسوغ لنا الظن بأن الإحساس وحده ساد أوائل التفكير البشري ، وأن اللسان ما كان — بادئ الرأي — إلا انعكاساً للعالم الخارجي . ولو استعرضنا سلسلة الجذور السامية ، لصعب علينا أن نجد فيها ما يخلو من الابتداء بمعنى مادي يُنتقل منه فيما بعد إلى الأمور العقلية بوسائط تتفاوت في درجتها المباشرة زيادة ونقصا »[1] . ثم يسرد بضعة أمثلة عبرية يؤخذ منها أنه للإبانة عن غرض نفسي لا بد من اللجوء إلى مدلولات تتسم بسيماء الحوادث الفيزيولوجية . فالغضب يُلحظ فيه التنفّس الحار والغليان ، واليأس انحلال القلب ، والملع انخلاع الكُلى ، والكبرياء ارتفاع الرأس . ويجد مثل هذا في العربية فيأتي بمثالين : « غفر » للمسامحة — وهو ما اقتضى تصوّر طلاء يمحو الذنوب — و « فرض » لتقرير أمر من الأمور — وهو ما يلحظ فيه « حزّ » و « قطع » قطعاً مادياً . وينتهي بعد ذلك إلى تقرير أن « ما يميز أسرة اللغات السامية هو أنها لا تزال تحتفظ احتفاظاً دائماً بالاتحاد المبدئي بين الإحساس والفكرة . . وبالاختصار ، لم تتمّ في تلك اللغات عملية التجريد المثالي (Idéalisation) على نحو كامل ، الأمر الذي تُشتَمّ منه كما يرى رائحة « طفولة التفكير البشري »[2] .

وكتاب رونان مشحون بالأحكام العامة التي هي من هذا القبيل . فهو يؤكد مثلاً أن اللغات الآرية لغات « تركيبية » على حين أن السامية

---

(١) ص ٢٢ من المصدر نفسه .

(٢) ص ٢٤ : « L'enfance de l'esprit humain » .

« تحليلية » ، وأن العربية على رغم غناها من حيث المادة وأن فيها على ما أحصاه دوهامّر خمسة آلاف وسبعمائة وأربعة وأربعين اسماً للجمل ، لا تقاس في جانب اللغات الهندية الأوروبية من حيث الضبط والدقة ؛ وأن أساليب البيان العربي على سعة جوانبها تتصف بالجفوة الرتيبة وبالتنطع [1] ؛ وأن المرء إذ يتأمل كتاب العرب في مادتهم وطريقتهم من الهند وخراسان إلى إسبانيا ومراكش ليُداخله الشعور أنه أمام ثقافة متجانسة « صنعية وعليمة » [2] [ولكن بالمعنى الردي،] .

هكذا نجد أن الأمر آل برونان إلى إيصاد باب التفكير الفلسفي في وجه أهل هذه اللغة لا من جهة أن هذا التفكير غير مستساغ بالنسبة لأذهان طائفة منهم ولا من جهة أنه لم يتهيأ لهم في عهد من العهود لأسباب خارجة عن إرادتهم بفعل العقائد الدينية مثلاً أو السلطة الزمنية بل من تلقاء علة أزلية سرمدية ضُربت علينا في أصل ذكائنا وما رُكِّب عليه عقلنا من فطرة ترتبت عليها طريقتنا في رواية الأمور . وهذه العلة لا يُرجى منها شفاء (كالخطيئة الأصلية لزمنا وزرها إلى يوم القيامة مع جميع الساميين) .

ونحن لا ندعي أننا أوتينا المعرفة العميقة التي تميز بها هذا المستشرق النحرير ولا سعة إحاطته : فقد كان علامةً فهّامة من الطراز الأول ، استوعب فنون الاشتقاق في عصره ، وأبعد النظر في دراسات الفيلولوجيا المقارنة التي باشرها فطاحل الألمان أمثال إيوالد ، ولاسّن ، وشپيغل ، وغيرهم ، ووقف على لغات مختلفة شرقية وغربية وقوفاً واعياً بصيراً . ولكننا مع ذلك نأذن لأنفسنا أن نبدي بعض التساؤلات والاعتراضات بصدد مقالاته لا سيا وأن الرجل — إلى جانب الحاده الذي لا يعنينا نحن أن ننكره عليه — متهم بعرق من العصبية

(١) ص ٣٨٥ : « Une roideur monotone et pédante ».

(٢) « Artificielle et savante » .

الشعوبية على كل ما هو غير أوروبي . فلعله تحت تأثير منطق عواطفه الخاص ، انزلق إلى نظريات تتجاوز حدَّ الحيطة العلمية ، وقد يكشف « التحليل النفسي » ذات يوم عن بواعثها الدفينة .

وأول ما نريد بيانه هو وهن الموضوعة الأساسية التي اعتمدها رونان في دراسة البسيكولوجيا السامية . لا شك أن من عناصر البسيكولوجيا دراسة الظاهرات اللغوية على اعتبار أن اللغة تكشف عن خصائص العقول . وهذا صحيح بشرط واحد هو ألاّ نربط هذه الخصائص بالتكوين البيولوجي الحيوي وألا نجعلها ناشئة عن صورة ذهنية فطرية لصقت بها كالطين اللازب ، بل أن نأخذ بعين الاعتبار الظروف الاجتماعية كالسكنى وطراز العيش وتمازج الثقافات والشعوب . يقول فاندرييس : « كما أنه من التحكم أن نستنبط اللغة من الذهن ، فكذلك من الاعتباط أيضاً أن نستخرج العقلية من اللسان . إن كلا الأمرين من فعل الظروف ، إنهما من الوقائع الحضارية »[1] . والحال أن رونان ربط تلك الخصائص التي اكتشفها بالتكوين الغريزي عند الساميين ، فإذا لم يجد عندهم ملاحم فذلك عن أنهم سذج لا خيال لهم . وبديهي أن ما فعل صادر عن نزعة عرقية باطلة لم تعد ترضي العلم الحديث في قليل ولا كثير .

ثانياً : إن طريقة الاستقرائية غير مستوفاة . فالمعلوم أن الاستقراءات التي تصلح لأن تُستخرج منها القوانين العلمية إنما هي الاستقراءات الكاملة لا الناقصة . لأن مأتى السفسطة الأول من التعداد الناقص . فلنعرض على محك

---

(1) « Il est aussi absurde de faire sortir la langue de la mentalité que de faire sortir la mentalité de la langue. Toutes deux sont le produit des circonstances: ce sont des faits de civilisation » (Vendreys, *Le Langage* p. 277).

النظر دعواه في أن « اللغات السامية لغات الواقعية والحسّ بالقياس إلى اللغات الآرية التي هي لغات التجريد والميتافيزياء » لقد بنيت هذه الدعوى على الزعم بأننا لو استعرضنا سلسلة الجذور السامية لصعب علينا أن نجد فيها ما يخلو من الابتداء بمعنى مادي . ولكنّ هذا يستدعي قبل كل شيء أن تتوفر « مونوغرافيات » مفصلة أتمّ تفصيل للعبرية والكنعانية والفينيقية والسريانية والآرامية والآشورية والبابلية والنبطية والعربية فضلاً عن جميع اللغات الأخرى الساميّ منها والآري ، وأن تصاحب هذه الدراسات المفردة إحصاءات مضبوطة للألفاظ الحسية والألفاظ المجردة في كل لغة مع نسبتها المئوية . فماذا فعل رونان هنا ؟ إنه اكتفى في أغلب الأحيان بإيراد أمثلة تنحصر في بضع كلمات من العبرية ، وأحياناً من العربية ، ورتّب عليها مثل هذه التعميمات الضخمة . ثم ، بافتراض أن مثل ذلك قد جرى إلى حد ما (وما أبعد مثل هذا الواقع عن ضرورات البحث العلمي !) فعلامَ تشهد كثرة الألفاظ الحسية على الألفاظ المعنوية في لسان ما ؟ — ربما كان فيه دليل على أن ذلك اللسان احتفظ بصوت التطور أكثر من غيره (وقد أورد هذا الاعتراض على رونان كما صرّح بذلك هو نفسه) . ونحن نضيف : لماذا نتخذ من نقل الألفاظ عن معانيها الأصلية دليلاً على اتصاف الفكر بطابع ثابت ، مع أن مجرد النقل يدلّ على حركة فكرية . ان من المعلوم أن الكلمات تتغير معانيها على أنحاء ثلاثة :

(ا) التخصيص (وهو المضي من الجنس الى النوع : كالصلاة التي اختص لفظها بضرب من الدعاء) ؛

(ب) التعميم (أي التوسع في اطلاق الجزء على الكل ، نحو « المجين » وهو في الأصل للمجاوزات غير ذات النسب الصريح ثم استعمل لكل خلاسي من البشر) ؛

(ج) النقل من مجال الى مجال بسبب المجاورة (ونلفت النظر الى أننا هنا

نسوّي بين المجاورة المادية والذهنية لكي نطوي تحتها ما يعرفه لغويونا بـ « الاشراب » الذي يكون مثلاً باستعمال الألفاظ الحسية لمعاني مجردة كقولك « الجزم » — وهو القطع المادي — تريد به « التوكيد » ، وكقولك « الاعتماد » — وهو أصلا التوكؤ — في مقام « الوضع موضع الثقة ») وقس على ذلك ضروب الاستعارات والمجازات .

ونحن نظن أن مجرد لجوء العرب الى اشراب الألفاظ الحسية معاني مجردة دليل على عكس نظرية رونان لأنه يفرض بالضرورة قيام المعاني المجردة في الذهن ، والا لما حصل الانتقال من الحسي الى غيره . واذا كانت اللغات ، على ما يعتقده رونان في أعقاب هوردمان ، « الحصيلة المباشرة للشعور البشري » (١) فان الاشراب يعكس على أفضل وجه تلك الفاعلية الدينامكية الأصيلة في الذهن العربي القائمة على تصور المجرد وربطه بالمحسوس ، وذلك للاقتران بين ضربي الانطباعات التي تركها في شعورهم كل من النطاقين (نطاق المجرد ونطاق المحسوس) .

ثالثاً : ان أكبر ما نأخذه على رونان تعسفه في التعميمات التي تجاوز حدود المقدمات . والحقيقة أنه اجترأ على تراكيب فضفاضة ، فوقع في مثل ما رمى به أولئك الذين يستهويهم وضع النظريات الكبرى بعد نظرهم نظراً غير مستوفى في كتب اللغة وفي النصوص . ولئن انحى باللائمة على هؤلاء صارناً اليهم قوله : « ان الفضاضة التي تلحق بالمرء من أن يكون خيالياً أكبر من الفضاضة اللاحقة به من التقصير » (٢) فغالب الظن أن رونان وقع في العيب

(١) راجع مقدمة ١٨٥٥ .

(٢) « Il est moins fâcheux d'être incomplet que chimérique »

الذي أنكره على غيره يوم رمانا مع الساميين جميعاً بأننا لا فلسفة لنا أصيلة ، ولا خيال خلاّق ، وأن فكرنا يرضى بالمتناقضات . ويظهر أن رونان أدرك ما يمكن أن يومم به من جراء تعميماته فاعتذر عن ذلك في المقدمة بأن لولاه لبقي التاريخ محصوراً في نطاق الواقعات المادية دون إقدام على استخراج مغزى تلك الواقعات . ولكن إذا كان استخراج المغزى يؤدي إلى مثل هذا التكلف والافتئات ، فكم كان أجدر به وهو في مقرّاته وبسطة علمه « كراكب الأسد يهابه الناس » أن يكون « لمركبه أهيب » كما يقول كاتبنا العظيم عبد الله ابن المقفع .

وبعد ، فلننظر نظرةً أخرى في تاريخ فكرنا من الناحية السوسيولوجية . لقد كانت لنا حياة فكرية قبل الاسلام صوّرها الشعر الجاهلي . فهل كان هذا الشعر غير مفصح عن خوالج النفس الدقيقة ؟ نعم إنه لم يكن شعرَ ملاحمَ طويلةِ النفَس (كالإلياذة) . ولكن ما بالنا لا نقيم وزناً لخيال إلا إذا جاء على طريقة الإغريق ؟ إن ملكة التصوّر الخلاّق تتخذ أشكالاً مختلفة ، والشكل الأسطوري واحد من عديدها . ولئن كانت الوثنية طوراً من أطوار التاريخ وجاءت الأسطورة معبرة عن خياله ، فإننا لا نطالب شعراء عصرنا الحاضر مثلاً أن يظل خيالهم دائراً على الأساطير . هذا هو الشعر الفرنسي في الأزمنة القريبة منا من رونسار الى سان جون برس أهو منحطّ في مرتبة خياله لأنه لا يدور على خلق أساطير ؟ وهل نتخذ شاهداً من ذلك على ضعف ملكة التخييل عند أكبر من تمثّل تراث الاغريق أعني الأمة الفرنسية ؟

ثم لقد كان لنا لسان صَلَحَ لأن يكون محملاً لدين جليل على ما انبعث عن هذا الدين من عقيدة وشرع وفقه ونحو وصرف وكلام وجدل ومنطق وعلوم عقلية . فكيف استطاع لسان يعتبر رونان أن آجروميته تمثل طفولة الفكر

الانساني أن يقوى على النهوض بكل ذلك ؟ بل لقد اتسع لساننا بالذات لاستيعاب حكمة فارس ورياضيات الهند وفلسفة يونان ، فبأي لغة يا ترى وصلتنا آثار إفلاطون وأرسطو والاسكندر الأفروديسي وبقراط وجالينوس وإقليدس وأرخميدس وذيوفانت وباليناس وبطليموس ؟ وهل عجز آل بختيشوع وآل الكرخي وبنو موسى بن شاكر وثابت بن قرة والحجاج بن مطر ويوحنا البطريق وابن ناعمة الحمصي وأبو عثمان الدمشقي ومتى بن يونس القنائي ويحيى بن عدي والبلاذري أحمد بن يحيى وإسحق بن يزيد وعلي بن زياد التميمي والحسن بن سهل وعشرات غيرهم عن أداء المعاني المجردة الدقيقة بالعربية وبالسريانية وحتى بالعبرية ؟ بل كيف فهم عنا تراجمة العصر الوسيط اللاتيني حكمة اليونان الرفيعة التي نقلناها أولا ، فحملوها إلى أوروبا عن طريق لساننا ليغنى بها التفكير الغربي ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليس هذا كل ما في الأمر . لقد كان لنا فلسفة خاصة يوم لم يكن للفرنجة ولا للقوط ولا للهون ولا للسلت ولا للكرواتيين ولا المروفنجيين فلسفة . أفيكفي في الحط من شأن هذه الفلسفة أن يقال إنها دخيلة علينا ؟ أو لم يعترف لنا رونان بأصالة علم الكلام وهو جدل رفيع نبت في جو إسلامي صافي العروبة . وهب أن من صنعوا الفلسفة بمعناها الأضيق كانوا من أصل فارسي أو أعجمي ، فليت شعري بأي لسان فكروا ؟ ولمَ اختار الفارابي لغة العرب لبيان نظرية « العقول » والشيخ الرئيس ابن سينا لغة العرب لكتابة الشفاء والنجاة ؟ ولمَ تناول الغزالي « مقاصد الفلاسفة » ، ثم بيّن « تهافتهم » بلسان غير الفارسي ؟ وكيف صحت مؤلفات ابن رشد أن تكون ، كما يقول جلسن ، مصدراً « له أبعد الأثر وأقواه في الاسكولائية المسيحية » وينبوعاً ترويت منه فلسفة اللاهوتيين ، أمثال غليوم الأوفيرني ، وروجه باكون ، وحنا بيكام ؟

لم يكن العرب ، أمة غالية دائماً حتى نقول إن لسانهم إنما انتشر بقوة السيف . نعم لقد امتد ملكهم ذات يوم من جبال البرانس وأعمدة هرقل الى الهند والصين . ولقد كانوا على رأس العالم المتمدن في عهود زاهرة كحقبة بغداد في القرن الثامن المسيحي أيام الرشيد والمأمون ، ويوم أشمت مملكة الأغالبة على سردينية وصقلية ونابولي ، وكعهد قرطبة في القرن العاشر في ظل الحكم الثاني والحاجب المنصور محمد بن أبي عامر ، ثم في حقبة القاهرة الفاطمية وفي المغرب الاسلامي على عهد المرابطين والموحدين . ولكنهم واجهوا نكبات ومصائب كان من حقها منطقياً أن تمحو لغتهم محواً كأداة حضارية . ومع ذلك ، لا هولاكو البوذي الذي ذبح أهل بغداد ذبحاً وجعل مياه دجلة سوداء من مداد ثقافتنا ، ولا الحروب الصليبية التي عاشت في أرضنا قرنين كاملين ، ولا الفتح المغولي ولا الغزو الطوراني ، ولا غلبة الأعاجم علينا من كل ملة ونحلة ، ولا الاستعمار الغربي نالت من عنفوان العربية . لماذا ؟ لأن هذه اللغة أثبتت حيويتها أمام الكوارث ، لأنها وقد اقتحمتها الثقافات الفارسية واليونانية البيزنطية والهندية ، عرفت كيف تمتصي عصارة تلك الثقافات فيتمثلها نسغها اليَعْرُبيُّ الأصيل . إن سر حياتها القوية المنيفة قائم في مرونتها وقابليتها للتكيّف . وهذه هي النهضة العربية اليوم تأتي شاهداً مصدّقاً لما نقول : ففي أقل من قرن من الزمان استطاع أهل هذه اللغة أن يتناول لسانُهم ما شئت من علم وفن وفلسفة وتكنيك . وكثير من جامعات العالم العربي ومن مراكز البحوث تتولى معالجة العلوم الايجابية المضبوطة بفكر أداته هذه اللغة المُضَرية لغةُ معدّ وعدنان .

وإذا بدت هكذا مقاتل نظرية رونان ، فما أحرانا أن نردد مع صديقنا

لويس غارديه [١] أن الخميرة العربية العاملة في جوف كل الشعوب التي استهواها الإسلام إنما هي (والتعابير ها هنا للمستشرق المرحوم ماسينيون [٢] الذي ستحيي الكلية ذكراه غدا) « وهذا اللسان الرائع ذو الأزمنة « الثيوسانطريه » — أي المركزة حول الذات الإلهية — ؛ هذا الضبط في الصورة تتلبّس بها [مادّة] موّارة مضطربة مرججة ، هذا المزاج الرقراق من مجردات [عرّيت عن كل زيادة] وإفادات أنصفت بتمام الجدوى ؛ هذا القران المدهش بين آثار عليها مسحة الخشونة وبيّنات تتميز برونق منقطع النظير »

وبذلك نرى أن أمجد مظهر لعبقرية العرب لسانهم العظيم وأن أبا الريحان البيروني — نضّر الله جنّة خلده بالرّوح والريحان — كان على حق يوم أن قال : لأن أهجا بالعربية خير من أن أمدح بالفارسية ؟

الرباط : الدكتور حكمة هاشم

---

(١) ص ٥٨ L. Gardet, *Connaître l'Islam*

(٢) Louis Massignon, Lexique technique de la mystique musulmane ص ٣٤٦ — ٣٤٨ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التمييز

في اللاتينية	Discriminatio, Discrimen
في الفرنسية	Discrimination, discernement
في الانكليزية	Discrimination

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ميّز الشيء عزله وفرزه ، والتمييز بين الأشياء فصل بعضها عن بعض ، وتمييز الشيء من الشيء التفريق بينهما ، وفي التنزيل العزيز : « حتى يميز الخبيث من الطيب » .

والتمييز في النحو اسم يرفع الابهام عن ذات مذكورة مثل : لبس ثوبين حريرا ، أو مقدّرة مثل : لله درّه فارسا .

والتمييز قوة نفسية تستنبط بها المعاني . قال الغزالي : « فيخلق فيه التمييز (أي في الطفل) وهو قريب من سبع سنين ، وهو طور آخر من أطوار وجوده ، فيدرك فيه أموراً زائدة على عالم المحسوسات لا يوجد منها شيء في عالم الحس » (المنقذ من الضلال ، الطبعة السادسة ، مطبعة جامعة دمشق ص ١٠٨) .

وسن التمييز عند الفقهاء هو وقت معرفة المضار والمنافع .

والتمييز عند قدماء الفلاسفة هو التفريق بين الشيئين بحسب الفصل الذي

يقال على أحدهما . وهم يسمون كل معنى تميز به شيء عن شيء، شخصياً كان أو كلياً، فصلا، ثم نقلوه بعد ذلك إلى ما يتميز به الشيء في ذاته . قال ابن سينا: « مثل الناطق الذي يميز الإنسان عن الفرس وهما حيوانان » (النجاة ص ١١٢) .

والتمييز عند الفلاسفة المحدثين هو التفريق بين الأمرين المشخصين نسبيين كانا أو حسيين، مثال ذلك تمييز الحالات الشعورية أو تمييز المحسوسات . والفكرة المتميزة (idée distincte) هي الفكرة البيّنة .

ويطلق التمييز عند علماء الاجتماع على التفريق بين العروق البشرية أو الطبقات الاجتماعية أو غيرها . ومنه التمييز العنصري (Discrimination raciale, Ségrégation raciale) الذي ينكر المساواة بين الأجناس البشرية فلا يعترف للأسود مثلاً بما يعترف به للأبيض من حقوق طبيعية أو اجتماعية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التناسخ

في اللاتينية	Metempsychosis
في الفرنسية	Métempsychose
في الانكليزية	Metempsychosis

وهو لفظ يوناني مؤلف من لفظين: (ميتا) ومعناه الانتقال و (بسيشه) ومعناه النفس .

تناسخ الشيئان نسخ أحدهما الآخر . وتناسخوا الشيء تداولوه، وتناسخت الأزمنة تتابعت . وفي الحديث: لم تكن نبوّة إلاّ تناسخت، أي تحولت من حال إلى حال .

والتناسخ في الفرائض والميراث أن تموت ورثة بعد ورثة وأصل الميراث قائم لم يقسم ·

والتناسخ عقيدة شاعت بين الهنود وغيرهم من الأمم القديمة مؤدّاها ان روح الميت تنتقل إلى موجود أعلى أو أدنى لتنعم أو تعذب جزاء على سلوك صاحبها الذي مات · ومعنى ذلك عندهم ان نفساً واحدة تتناسخها أبدان مختلفة — انسانية كانت أو حيوانية أو نباتية ·

قال ابن سينا في بطلان القول بالتناسخ : « فإذا فرضنا نفساً تتناسخها أبدان وكل بدن فانه في ذاته يستحق نفساً تحدث له وتتعلق به فيكون البدن الواحد فيه نفسان معاً » (النجاة ص ٣٠٩) ·

وإذا قيل ان من مقتضيات هذه العقيدة القول بخلود النفس قلنا إن تناسخ النفس لا يوجب بقاءها اضطراراً ، لأنها قد تنتقل من بدن إلى بدن حتى تنتهي إلى العدم ، أو تغور في حقيقة روحية كلية تفقد معها فرديتها ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التناقض

في اللاتينية	Contradictio
في الفرنسية	Contradiction
في الانكليزية	Contradiction

نقض الشيء أفسده بعد إحكامه ، ونقض اليمين أو العهد نكثه ، ونقض ما أبرمه فلان أبطله ، وناقض في قوله مناقضة تكلم بما يخالف معناه ، وناقض غيره خالفه وعارضه · وتناقض القولان تخالفا وتعارضا ، والكلام المتناقض هو الذي يكون بعضه مقتضياً إبطال بعض ·

والتناقض في اصطلاح الفلاسفة هو اختلاف تصورين أو قضيتين بالايجاب

والسلب · مثل قولنا (ب) و (لا - ب) ، أو قولنا (ب) صادقة و (ب) غير صادقة أي كاذبة · قال ابن سينا : التناقض هو اختلاف قضيتين بالايجاب والسلب بحيث يلزم عنه لذاته أن تكون إحداهما صادقة والأخرى كاذبة · (منطق المشرقيين ص ٧٤) · وإنما تكونان كذلك إذا اتفقتا في الموضوع والمحمول لفظاً ومعنى ، واتفقتا في الكل والجزء والقوة والفعل والشرط والاضافة والزمان والمكان ، أما إذا اختلفتا في شيء من هذه الأشياء لم يجب أن تقتسما الصدق والكذب ، وإذا كانت القضيتان مخصوصتين كفى في تناقضهما هذه الشروط ، أما إذا كانتا محصورتين زاد شرط آخر وهو اختلافهما في الكية أعني الكلية والجزئية · مثال ذلك ان الكلية الموجبة والجزئية السالبة متناقضتان ، لأنك إذا قلت : كل انسان كاتب كان نقيضه ليس بعض الناس بكاتب ، والكلية السالبة والجزئية الموجبة متناقضتان ، لأنك إذا قلت : ولا واحد من الناس بكاتب كان نقيضه بعض الناس كاتب ·

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والتناقض أيضاً هو الجمع في تصور واحد أو في قضية واحدة بين عنصرين متنافيين كقولنا دائرة مربعة أو الضياء مظلم · الخ · ·

وقد يكون التناقض صريحاً كالتناقض الذي نعبر عنه بقضيتين متناقضتين ، وقد يكون ضمنياً كالتناقض المقدر بين القضية الظاهرة ونتائجها أو مقدماتها الخفية · وإذا حملت على الموضوع صفة متناقضة لتعريفه كان التناقض إضافياً (Contradiction in adjecto) ·

والتناقض عند الأصوليين هو تقابل الدليلين المتساويين على وجه لا يمكن معه الجمع بينهما ، ويسمّى بالتعارض أو المعارضة ·

والنقيضان (Contradictoires) هما الأمران المتنافيان بالذات بحيث يقتضي تحقق أحدهما انتفاء الآخر · ونقيض كل شيء رفعه ، والمراد بالرفع

ما يستفاد من كلمة (لا) و (ليس) كقولنا الانسان واللا انسان .

ومبدأ التناقض (Principe de Contradiction) بديهي وهو القول ان الشيء نفسه لا يمكن أن يكون حقاً وباطلاً . وهذا القول انما هو نتيجة لمبدأ الهوية (Principe d'idendité) أي لقولنا (ما هو هو) .

وعلى ذلك فالشيء المتناقض مناف للمعقولية ، لأن من شرط العقل أن يكون متفقاً مع نفسه ، فاذا كان العقل يقع في التناقض أحياناً فرد ذلك الى اشتغاله بأمور تمنعه من تذكر ما قاله سابقاً ، ولو قرّب بين الحكمين المتناقضين اللذين صدق بهما في زمانين مختلفين لأثبت أحدهما وأبطل الآخر . لذلك قيل ان الزمان هو علة الوقوع في التناقض . والوسيلة الوحيدة لاجتناب الوقوع في التناقض هي التحليل . (راجع : التحليل ، والقياس ، ومبادىء العقل) .

ARCHIVE
http://Archive.Sakhrit.com

التوازن

في الفرنسية	Équilibre
في الانكليزية	Équilibrium

توازن الشيئان تساويا في الوزن .

يقال في علم (الميكانيك) إن جملة من الأجسام تكون متوازنة إذا كانت محصلة القوى المؤثرة فيها مساوية للصفر . ومعنى ذلك انك تستطيع أن تحذف هذه القوى المؤثرة من غير أن يؤدي ذلك إلى تغيير حال الجملة أو حركتها . إن في كل زمن من أزمنة حركة النقطة المادية توازنا بين القوى المؤثرة فيها والقوة التي تجمدها وتجعلها معطلة . وهذا كله يدل على أن التوازن غير مرادف للسكون . فتوازن الجسم إما أن يكون مستقراً ، وإما أن يكون لا مستقرا . فإذا أزحت الجسم المتزن إتزاناً مستقراً عن موضعه عاد إليه ، وإذا

أزحت الجسم المتزن اتزاناً لا مستقراً عن موضعه لم يعد إلى وضعه الأصلي واختل التوازن .

ويقال في علم (الفيزياء) إن الجملة الخاضعة لتأثير بعض القوى الخارجية لا تكون متوازنة إلا اذا كان من شأنها ، وهي متأثرة بهذه القوى ، أن تبقى على حالها الى غير نهاية .

وهذا يصدق أيضاً على علم الكيمياء ، فيقال فيه إن التوازن صفة جسم أو جملة من الأجسام خاضعة لشروط البيئة المحيطة بها (درجة الحرارة ، الضغط الخ . .) بحيث يقابل كل حالة محددة من هذه الشروط المسماة بعوامل التوازن حالة معينة من أحوال ذلك الجسم أو تلك الجملة من الأجسام مهما يكن اتجاه التغيرات الطارئة .

وتوازن الميول في علم النفس إنما يطلق على الحالة التي تعتدل فيها الميول فلا يبلغ أحدها درجة من الشدة يستطيع معها أن ينفرد بتوجيه نشاط العقل .

والإرادة المتزنة هي التي لا يكون في إقدامها على الفعل أو احجامها عنه افراط ولا تفريط .

والمتزنون من الناحية العقلية هم الذين يكون تقيدهم بالمنطق فطرياً وطبيعياً وغريزياً بخلاف الذين يناقضون أنفسهم أو الذين لا تنكشف لهم الأمور بالمقاييس العقلية الا لماما .

والتوازن العقلي أيضاً هو الحالة التي تكون فيها القوى العقلية تامة الانسجام تامة الاتساق لا تسيطر احداها على الأخرى .

وحاسة التوازن هي الحاسة التي تطلع الانسان والحيوان على أوضاع بدنيهما وتقيهما من السقوط إلى الأرض عند وقوفهما أو سيرهما . اذا اختلت هذه الحاسة اختلت حركات الحيوان وأصيب بدوار . وقد بين علماء النفس أن آلة

هذه الحاسة هي المجاري نصف الدائرية الموجودة في الأذن الداخلية ، وأن المصابين ببعض الأمراض العصبية يفقدون اتزانهم لاختلال هذه الحاسة فيهم ·

حرية التوازن · — اذا انقسمت الأسباب المؤثرة في الارادة الى جملتين متعارضتين ومتساويتين حصل بينهما توازن تام · ولكن الإنسان يستطيع بالرغم من توازن هاتين الجانبين أن يختار أحداهما · ولولا اتصافه بالحرية لما استطاع أن يختار شيئاً ، بل لظل متردداً بين جهتي السلب والايجاب لا يفعل شيئاً أبداً ·

التوحيد (مذهب)

في الفرنسية Monothéisme

في الانكليزية Monotheism

وهو مشتق من لفظين يونانيين (مونو) ومعناه الواحد و (تيوس) ومعناه اله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحّد الشيء جعله واحداً ، ووحّد الله سبحانه أقرّ وآمن بأنه واحد · فالتوحيد اذن هو الإيمان بالله وحده لا شريك له · قال الجرجاني : « التوحيد في اللغة الحكم بأن الشيء واحد والعلم بأنه واحد · وفي اصطلاح أهل الحقيقة تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصوّر في الافهام ويتخيل في الأوهام والأذهان » (التعريفات) فإذا قلنا انه تعالى واحد عنينا بذلك أنه منفرد الذات في عدم المثل والنظير ، وانه لا يقبل التجزيء والانقسام والتكثير ، وانه لم يزل وحده ، ولم يكن معه آخر · وأهل العربية يجوزون أن ينعت الشيء بأنه واحد ولكنهم لا يجيزون أن ينعت بالأحدية غير الله لخلوص هذا الاسم الشريف له · ومعنى ذلك كله أن للتوحيد معنيين :

الأول هو القول أن الله تعالى واحد لا يوجد في ذاته تغير ولا كثرة ، وليس له أجزاء تجتمع فيقوم منها ، بل هو واحد من جميع الوجوه ·

والثاني هو القول بإله واحد لا شريك له مباين للعالم ومدبر له ، لأن الوجود الذي يوصف به لا يمكن أن يكون لغيره ، خلافاً للثنوية القائلين بإلهين أو الأصحاب التكثير القائلين بتعدد الآلهة .

لذلك قيل ان التوحيد هو معرفة الله تعالى بالربوبية والإقرار له بالوحدانية ونفي الأنداد عنه جملة . ومعنى الوحدانية ان للحق سبحانه وتعالى كمالاً لا يشاركه فيه غيره ، وانه منفرد بالإيجاد والتدبير بلا واسطة ولا معالجة وانه لا مؤثر سواه .

والفرق بين مذهب التوحيد ومذهب وحدة الوجود أن وجود العالم في مذهب التوحيد متوقف على وجود الله ؛ وأن وجود الله غير متوقف على وجود العالم ، على حين ان وجود كل منهما في مذهب وحدة الوجود يلزم عن وجود الآخر اضطرارا ، لأن نسبة الله الى العالم كقياس الجوهر من اعراضه . الجوهر واحد والأعراض متكثرة ، ولكن لا جوهر بلا أعراض ، ولا أعراض بلا جوهر (راجع : وحدة الوجود) .

التوليد المباشر (مذهب)

في الفرنسية Nativisme

في الانكليزية Nativism

وهو مشتق من اللفظ اللاتيني (Nativus) و (Nativitus) .

ولّد الشيء من الشيء أنشأه ، وتولد الشيء من الشيء نشأ عنه .

والتوليد عند المعتزلة هو الفعل الصادر عن الفاعل بوسط ويقابله المباشرة .

أما في الفلسفة الحديثة فالتوليد نوعان توليد مباشر وتوليد غير مباشر .

ومذهب التوليد المباشر هو القول أن بعض الحواس أو كلها أو حاسة البصر على الأخص تدرك خواص المكان إدراكاً طبيعياً ومباشراً .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويطلق اصطلاح التوليد المباشر أيضاً على جميع المذاهب القائلة بفطرية الصفات والوظائف والافكار ، بمعنى انها تتولد في العقل مباشرة بلا وسط ، من هذه المذاهب أيضاً القول ان الانطباعات الناشئة عن شبكة العين تولد في النفس صوراً حسية مكانية تجعل النفس تدرك الأشكال والمسافات ادراكاً مباشراً بغير كسب ولا تربية سابقة . ومنها القول ان الاحساسات الناشئة عن شبكة العين ، وان كانت غير مشتملة على مخصصات مكانية معينة ، إلا أنها في الأصل ذات حجم وامتداد تنضجها التربية . ومنها القول باشتمال النفس على معان أو مبادئ فطرية .

وعلى ذلك فإن مذهب التوليد المباشر مرادف للتجريبية ومضاد لمذهب التكوين . (راجع : التجربة ، والتكوين) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التوفيق (مذهب)

في الفرنسية Éclectisme

في الانكليزية Eclecticism

أصله في اليونانية اكلكتيكوس (Eklektikos) ومعناه المنتخب ويقابله في اللاتينية (Eligere) .

طريقة التوفيق (Méthode éclectique) هي أن تختير من المذاهب الفلسفية المختلفة أو المتقابلة آراء متطابقة ، وان تحاول الجمع بينها في رأي واحد ، أو هي الكشف عن وجهة نظر عالية تطابق بين الآراء الفلسفية المتعارضة .

ومذهب التوفيق (Eclectisme) هو الجمع بين الآراء والمذاهب المختلفة ومحاولة التأليف بينها لتكون مذهباً واحداً متماسكاً . من أمثلة ذلك مذهب المدرسة الاسكندرانية (أو على الأخص مذهب (بوتامون « Potamon »

من فلاسفة الاسكندرية) ومذهب الفيلسوف (فكتور كوزان ـ Victor Cousin) من فلاسفة القرن التاسع عشر . (راجع مذهب التلفيق) .

حرف الثاء

الثالث (نفي)

في الفرنسية Tiers exclu

مبدأ نفي الثالث من المبادئ الأولية ، تقول إذا صدقت إحدى القضيتين المتناقضتين كذبت الثانية والعكس بالعكس ولا ثالث بينهما . ويشترط في المتناقضتين أن يكون موضوعهما ومحمولهما واحداً وان لا تختلفا إلا بالايجاب والسلب ، فإذا كانت إحداهما صادقة كانت الثانية غير صادقة ، ولا وسط بينهما . وينطبق مبدأ نفي الثالث على القياسات الاستثنائية المؤلفة من الشرطيات المنفصلة ، فإذا استثنيت عين أيهما كان نتج عن ذلك نقيض الآخر ، مثاله : اما أن يكون العدد زوجاً واما أن يكون فرداً ، لكنه زوج فينتج أنه ليس بفرد ، أو فرد فينتج أنه ليس بزوج ، وإذا استثنيت نقيض أيهما كان نتج عن ذلك عين الآخر ، مثاله : اما أن يكون العدد فرداً ، واما أن يكون زوجاً ، لكنه ليس بزوج فهو إذن فرد ، ولكنه ليس بفرد فهو إذن زوج ، ولا وسط بينهما .

الثروة

في الفرنسية Richesse

في الانكليزية Wealth

الثروة هي الكثير من المال والناس ، يقال ثروة رجال وثروة مال . وفي

الحديث : ما بعث الله نبياً بعد لوط إلاّ في ثروة من قومه . والثراء المال الكثير . قال حاتم :

وقد علم الأقوام لو أن حاتماً أراد ثراء المال كان له وفر

والثروة عند علماء الاقتصاد هي كل ما يرضي حاجة الانسان أو رغبته ، وهم يقولون بنوعين من الثروة ، الأول مشترك ، كالماء والهواء ونور الشمس وإن كان حظ الناس منه غير متساو ، والثاني خاص ، وهو كل ما يملكه الفرد أو الجماعة من متاع أو عروض تجارة أو عقار أو نقود أو حيوان الخ .. ومعنى قولنا يملكه أنه يستطيع أن يبيعه أو أن يهبه ، لأنه ذو قيمة ، ويسمّى هذا النوع أيضاً مالاً ، والكلام عليه يشمل البحث في انتاجه وتوزيعه وتداوله واستهلاكه .

وإذا كان الانسان كثير المال كان غنياً أو ثرياً ، وأنا ثري بك عن الناس أي غني بك عنهم . ويطلق ذلك مجازاً على من كان غني الألفاظ ، غني الأفكار والعواطف ، وهذه نظرية غنية بالحقائق ، ومن قبيل ذلك أيضاً قولنا الثروة الفكرية ، والثروة الأدبية ، والثروة العلمية ، الخ ..

الثقافة

في اللاتينية	Cultura
في الفرنسية	Culture
في الانكليزية	Culture

ثقف الرجل ثقافة صار حاذقاً ، وثقفتُ الشيءَ حذقته ، والرجل المثقف الحاذق الفهم ، وغلام ثقف أي ذو فطنة وذكاء ، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والثقافة بالمعنى الخاص هي تنمية بعض الملكات العقلية أو تسوية بعض الوظائف البدنية ، ومنها تثقيف العقل ، وتثقيف البدن . ومنها الثقافة الرياضية ، والثقافة الأدبية أو الفلسفية .

والثقافة بالمعنى العام هي ما يتصف به الرجل الحاذق المتعلم من ذوق وحس انتقادي وحكم صحيح ، أو هي التربية التي أدت إلى إكسابه هذه الصفات . قال (روستان) « العلم شرط ضروري في الثقافة ، لكنه ليس شرطاً كافياً ، إنما يطلق لفظ الثقافة على المزايا العقلية التي أكسبنا إياها العلم حتى جعل أحكامنا صادقة ، وعواطفنا مهذبة » (D. Roustan, La culture au cours de la vie)

ومن شرط الثقافة بهذا المعنى أن تؤدي إلى الملاءمة بين الانسان والطبيعة وبينه وبين المجتمع ، وبينه وبين القيم الروحية والانسانية .

وإذا دل لفظ الثقافة على معنى الحضارة (Civilisation) كما في اللغة الألمانية كان له وجهان وجه ذاتي وهو ثقافة العقل ، ووجه موضوعي وهو مجموع العادات والأوضاع الاجتماعية والآثار الفكرية والاساليب الفنية والأدبية وانماط التفكير والاحساس والقيم الذائعة في مجتمع معين ، أو هو طريقة حياة الناس وكل ما يملكونه ويتداولونه اجتماعياً لا بيولوجياً (قاموس التربية وعلم النفس التربوي للدكتور فريد جبرائيل نجار ، بيروت ١٩٦٠) تقول بهذا المعنى : الثقافة اليونانية ، والثقافة العربية ، والثقافة اللاتينية ، والثقافة المدرسية (الكلاسيكية) والثقافة الحديثة . وتقول أيضاً : امتزاج الثقافات ، والنشاط الثقافي ، والعلاقات الثقافية والتخلف الثقافي الخ ...

ومذهب الحتمية الثقافية هو القول أن الحضارة تولد الحضارة بمعزل عن العوامل الطبيعية المؤثرة في سلوك الإنسان وعمله .

الثنوية

في الفرنسية	Dualisme
في الانكليزية	Dualism
وهو مشتق من الأصل اللاتيني	Dualis

الثنوية فرقة تقول بالهين إثنين إله الخير وإله الشر ، قالوا انا نجد في العالم خيراً وشراً ، والواحد لا يكون خيراً وشراً بالضرورة ، فكل من الخير والشر فاعل إذن على حدة ، وفاعل الخير هو النور ، وفاعل الشر هو الظلمة ، والمجوس منهم ذهبوا إلى أن فاعل الخير هو (يزدان) وفاعل الشر هو (أهرمن) ثم ذهبوا الى عبادة النار لأنها عندهم أساس الحياة وأصل الوجود .

والاثنينية هي كون الطبيعة ذات وجهتين أو هي كون الشيء الواحد مشتملاً على حدين متقابلين ومتطابقين كتقابل الفكر والعمل في الحالات الثلاث التي يتألف منها قانون التطور الانساني عند (اوغوست كومت) وهي الحالة الالهية المطابقة للمجتمع الحربي ، والحالة الفلسفية المطابقة للمجتمع الاقطاعي ، والحالة الوضعية المطابقة للمجتمع الصناعي ، أو كالتقابل المنطقي الذي نجده بين العلوم العقلية والعلوم التجريبية ، فان فيه اثنينية كاثنينية العقل والتجربة ، والخيال والحقيقة ، والامكان والوجوب ، والحق والواقع .

ومن معاني الاثنينية (Dualité) أيضاً كون الشيء مشتملاً على مبدأين مستقلين لا ينحل أحدهما إلى الآخر كاثنينية الحقية والخلقية في فلسفة القديس توما الاكويني ، أو الهوى والحرية ، أو الارادة والعقل ، أو الجسم والروح في فلسفة ديكارت ، أو الخير والشر أو النور والظلمة في المانوية . ومن معاني الاثنينية أخيراً الثنائية

كما في قانون التناقض ، وهو أن (آ) لا يمكن أن يكون (ب) و (لا — ب) في وقت واحد ، ويسمى ذلك بقانون الاثنينية ويمثل في الجبر المنطقي بـ (س) × (١ — س) = ٠ أو بـ س — س^{2} = ٠ أي س^{2} = س

ومعناه أن ضرب الحد في نفسه أو القضية في نفسها معادل لمجرد تصور ذلك الحد أو التصديق بتلك القضية تصديقاً بسيطاً . والقضية الثنائية هي القضية الحملية التي لم تذكر الرابطة فيها ، كقولنا : زيد قائم ، بخلاف القضية الثلاثية التي ذكرت الرابطة فيها ، كقولنا : زيد هو قائم . (راجع : الجمع المنطقي ، والضرب المنطقي) .

جميل صليبا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

استدراك وتعليق

ونظرة إلى تاريخ بني العباس

– ٩ –

القادر بالله (١) :

مولده سنة ٣٣٦ ـ خلافته سنة ٣٨١ (٩٩١ م) — وفاته سنة ٤٢٢ (١٠٣١ م) .

لم يُروَ له شعر . غير أنه كان ينشد أبياتاً في الزُّهد منها :

سبق القضاء بكل ما هو كائنٌ ... والله يا هذا لرِزقك ضامنُ

تُعنى بما يَفنى وتترك ما به ... تَغنى كأنك للحوادث ضامن

واعلم بانك لا ابا لك في الذي ... اصبحتَ تجمعه لغيرك خازن

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

(١) هو أبو العباس أحمد بن إسحق بن المقتدر . أمه أمَة اسمها : دِمنة ، وقيل تَمني .

كان في غاية الديانة والعبادة ، والفضل والسيادة : كثير الصدقات ، حسنَ الطريقة . صنف كتاباً في الرد على القائلين بخلق القرآن . عدّه ابن الصلاح في علماء الشافعية ، وذكره في طبقاته .

طالت خلافته حتى بلغت إحدى وأربعين سنة وأربعة أشهر .

تفقه على العلاّمة أبي بشر المروي وصنف كتاباً في الأصول .

ومن دلائل ما كان عليه من مكارم الأخلاق ، ومن مخالفته لما درج —

يا عامر الدنيا ! اتعمرُ منزلاً لم يبقَ فيه مع المنية ساكن
الموت شيء انت تعلم أنه حق وأنت بذكره متهاون
ان المنية لا تُؤامِر مَن أتت في نفسه يوما ولا تستأذن [1]

ـــ عليه الخلفاء ، ولا سيا العباسيين ، من إساءة الخليفة القائم إلى سلفه في الخلافة ، أنه لما جيء إليه بالطائع ، أنزله حجرة من خاص حُجَره ، ووكل به من ثقاته مَن يقوم بخدمته ، وأحسن ضيافته . وكان يطلب الزيادة في الخدمة ، فيؤمر له بذلك .

وأرسل إليه يوماً القادر عدسية ، فقال : ما هذا ؟ قالوا عدس وسلق ! قال : أأكل أبو العباس من هذا ؟ قالوا نعم !

قال : قولوا له عني . اما وقد أردت أن تأكل عدسية ، لِمَ اختفيت ؟ فما كانت العدسية ، تعوزك ، ولِمَ تقلدت هذا الأمر ؟

فأمر حينئذ القادر أن يفرد له جاريةٌ من طبّاخاته تطبخ له ما يلتمسه كل يوم . فأقام على هذا إلى أن توفي .

وكان القادر يخرج من داره في زي العامة . وإذا وصل إليه حال ، أمر فيه بالحق . (نقول الحال هنا بمعنى الشكوى ومنه أخذ (عرضحال) .

(١) قال أبو الحسن الأبهري : أرسلني بهاء الدولة في رسالة إلى القادر ، فسمعته ينشد هذه الأبيات . فقلت له : الحمد لله الذي وفق أمير المؤمنين لانشاد مثل هذه الأبيات .

فقال : بل لله المنة إذ ألزمنا بذكره ، ووفقنا لشكره !

الم تسمع قول الحسن البَصري في أهل المعاصي : « هانوا عليه ، فعصوه ، ولو عزوا عليه لعصَمهم »

يقول بعض من كتب عنه من المؤرخين : إنه في أيامه تراجع وقار ـــ

ــ الدولة العباسية ، ونما رونقها ، وأخذت أمورها في القوة ، وكانت الخلافة قبله قد طمع فيها الترك والديلم . فلما وليها القادر ، أعاد جدتها ، وجدد ناموسها ، وألقى الله هيبته في قلوب الخلق ، فأطاعوه أحسن إطاعة وأتمها .

حتى قال فيه الشريف الرضي :

شرفُ الخلافة يا بني العباس اليومَ جدَّده أبو العباس
ذا الطودُ أبقاه الزمانُ ذخيرةً من ذلك الجبل العظيم الراسي

ليس من شك أن القادر كانت له حرمة في النفوس . قد يكون مردها إلى أمور منها :

آ ــ أن الترك والديلم الذين كانوا بلاء الخلافة ، وفتنة الخلفاء ، كان قد ضعف في عهد القاهر أمرهم ، فزال عن الدولة خطرهم ، وسكنت ثوراتهم المتعاقبة . كما أن القرامطة كان قد انتهى أمرهم أو زال .

ب ــ مسلكه المعتدل ، وتعففه عن الأموال ، وتحرجه من سفك الدماء .

ج ــ ما كان عليه من تدين وزهد ، وحسن سيرة ، أوقع له في النفوس حرمة وهيبة .

أما أن يكون أعاد للدولة العباسية وقارها ، وأنه جعل أمورها تأخذ في القوة ، وأنه كان الذخيرة « من ذلك الجبل العظيم الراسي » .

فمحاباة مؤرخ ، ومغالاة شاعر ، قد يشفع لهما في بعض ما قالاه : أنها قاسا الامور بما كان قبله . وإلا فالحكم كان للملوك ، وكانت الخلافة في عهده ــ كما كانت في عهد أكثر الخلفاء المتأخرين ــ شبه منصب ديني ، كمثل البابوية في يومنا هذا .

القائم بأمر الله (١) :

مولده سنة ٣٩١ — خلافته سنة ٤٢٢ (١٠٣١م) — وفاته سنة ٤٦٧ (١٠٧٥م) .

هو أبو جعفر عبد الله بن القادر . أمه أم ولد أرمنية وقيل رومية اسمها « بدر الدُجى » وقيل « قطر النَدى » .

(١) كان القائم من أفاضل خلفائهم وصُلحائهم . وطالت مدته في الخلافة . وزاد به وقار الدولة ، وتمّ قونها — وفي أيامه انقرضت دولة بني بويه ، وظهرت دولة بني سلجوق .

يقول ابن الأثير : كان القائم ورعاً ديناً زاهداً عالماً ، قويّ اليقين بالله ، كثيرَ الصدقة والصبر . له عناية بالأدب ، ومعرفة حسنة بالكتابة ، ولم يكن يرتضي أكثرَ ما يُكتب من الديوان ، فكان يصلح فيه أشياء ، وكان مؤثراً للعدل والاحسان ، وقضاء الحوائج ، لا يرى المنع من شيء يُطلب منه .

قال محمد بن علي بن عامر الوكيل :

دخلت يوماً إلى المخزن . فلم يبقَ أحدٌ إلاّ أعطاني قصة ، فامتلأت أكمامي منها . فقلت في نفسي : لو كان الخليفة أخي ، لأعرض عن هذه كلها . فألقيتها في بِركة . والقائم ينظر ، ولا أشعُر . فلما دخلت إليه أمر الخدم بإخراج الرقاع من البِركة . فأخرجت . ووقف عليها ووقّع فيها بأغراض أصحابها . ثم قال لي :

يا عاميُّ ! ما حملك على هذا ؟

قلت : خوف الضجر منها .

فقال : لا تعُدْ إلى مثلها ! فانّا ما أعطيناهم من أموالنا شيئاً ، انّا نحن وكلاء .

ولم يزل أمره مستقيما إلى أن قُبض عليه .

— وكان السبب في ذلك : أن أرسلان التركي البساسيري ، كان قد عظُم أمره ، واستفحل شأنه ، لعدم نظرائه ، وانتشر ذكره ، وتهيبته أمراء العرب والعجم ، ودُعي له على المنابر ، وجبى الأموال وخرّب القرى . ولم يكن القائم يقطع أمراً دونه . ثم صح عنده سوء عقيدته ، وبلغه أنه عزم على نهب دار الخلافة ، والقبض على الخليفة . وهاجم البساسيري بغداد ، ومعه الرايات المصرية . وقبض على الخليفة القائم ، وسيّره إلى غانة وحبسه بها . ثم غُلب البساسيري ، وظُفر به ، فقتل . وأعيد الخليفة القائم من محبسه في غانة إلى بغداد ، فدخلها بأبهة عظيمة ، والأمراء والحجاب بين يديه .

ولما رجع القائم إلى داره ، لم ينم بعدها إلا على فراش مُصلّاه ، ولزم الصيام والقيام ، وعفا عن كل من آذاه ، ولم يسترد شيئاً مما نُهب من قصره ، إلا بالثمن . وقال :

هذه أشياء احتسبناها عند الله . ولم يضع رأسه بعدها على مخدّة . ولما نُهب قصره لم يوجد فيه شيء من آلات الملاهي .

وروي : أنه لما سجنه البساسيري كتب قصته ، وأنفذها إلى مكة . فعلقت في الكعبة وفيها : « إلى الله العظيم من المسكين عبده . اللهم انك العالم بالسرائر ، المطلع على الضمائر . اللهم انك غني بعلمك واطلاعك على خلقك ، عن اعلامي . هذا عبد قد كفر نعمتك وما شكرها ، والغى العواقب وما ذكرها . أطغاه حلمك حتى تعدى علينا بغياً ، وأساء إلينا عتواً وعدواناً . اللهم قلّ الناصر ، واعتز الظالم ، وأنت المطلع العالم ، والمنصف الحاكم . بك نعتز عليه ، وإليك نهرب من يديه . فقد تعزز علينا بالمخلوقين ، ونحن نعتز بك . وقد حاكمناه إليك ، وتوكلنا في انصافنا منه عليك ، ورفعنا ظُلامتنا هذه إلى حرمك ، ووثقنا في كشفها بكرمك . فاحكم بيننا بالحق ، وأنت خير الحاكمين » . —

المستظهر بالله (١) :

مولده سنة ٤٧٠ — خلافته سنة ٤٨٦ (١٠٩٤ م) — وفاته سنة ٥١٢ (١١١٨ م) .

هو أبو العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله .

من شعره :

اذاب حرُّ الهوى في القلب ما جمدا لما مددتُ الى رسم الوداع يدا
وكيف اسلك نهج الاصطبار وقد ارى طرائق في مهوى الهوى قددا

— يقول السيوطي : « زوج الخليفة القائم بنته لطغرلبك ، بعد أن دافع بكل ممكن ثم لان لذلك برغم منه ، وهذا أمر لم يفعله أحد من ملوك بني بويه ، مع قهرهم الخلفاء ، وتحكمهم فيهم .

قلت : والآن زوج خليفة عصرنا ابنته من أحد مماليك السلطان ، فإنا لله وانا إليه راجعون .

(١) كان المستظهر لين الجانب ، كريم الأخلاق . يحب اصطناع الناس ، ويسارع إلى أعمال البر والمثوبات ، لا يرد مكرمة تطلب منه ، كثير الوثوق بمن يوليه ، غير مصغ إلى سعاية ساع .

غير أن أيامه كانت مضطربة ، نجمت فيها الفتن ، وكثرت الحروب .

استولى العبيديون على بقاع من الشام وانفجرت ثورات الباطنية .

وجاءت الفرنجة ، فما زالت تأخذ البلاد : بلدةً بلدة ، وينهبون ويستبيحون ما يستولون عليه ، إلى أن سقطت القدس في يدهم ، فقتلوا منها ما زاد على السبعين ألفاً ، فيهم جماعة من العلماء والعباد والزهاد . وهدموا المشاهد ، وجمعوا اليهود في الكنيس ، وأحرقوه عليهم .

هذا وملوك المسلمين ، مشغولون عن عدوهم بمنازعاتهم الشخصية ، —

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

– وبحروبهم الداخلية ، وفيهم ، وفي ما كان من الخطب العظيم على البلاد يقول الآبيوردي من قصيدة طويلة :

مزجنا دماءً بالدموع السواجم ... فلم يبقَ منا عُرضة للمراحم
وشرُّ سلاح المرء دمع يُفيضه ... إذا الحرب شبت نارها بالصوارم
فايهاً بني الاسلام إن وراءكم ... وقائعَ يلحقن الأذى بالمناسم
أتهويمة في ظل أمن وغبطة ... وعيش كنوّار الخميلة ناعم
وكيف تنام العين ملءَ جفونها ... على هبوات أيقظت كل نائم
واخوانكم في الشام يضحي مَقيلهم ... ظهورَ المذاكي أو بطونَ القشاعم
تسومهم الرومُ الهوانَ وأنتم ... تجرون ذيلَ الخفض فعلَ المسالم

* * *

وتلك حروب من يَغب عن غمارها ... ليسلم ، يقرع بعدها سن نادم
أترضى صناديد الأعارب بالأذى ... ويُغضي على ذلٍّ كماة الأعاجم
فليتهم إذ لم يذودوا حميةً ... عن الدين ضنوا غيرةً بالمحارم
وان زهدوا بالأجر إذ حمي الوغى ... فهلا أتوه رغبةً في الغنائم
دعوناكم والحربُ ترنو مُلحةً ... إلينا بألحاظ النسور القشاعم
تراقب فينا غارةً عربيةً ... تطيل عليها الروم عضّ الأباهم

وجاء مودود صاحب الموصل بعسكر ليقاتل الفرنجة ، وبينا هو يصلي الجمعة في الجامع بدمشقَ وثب عليه باطني فقتله .

وزعموا أن ملك الفرنجة كتب إلى صاحب دمشق كتاباً فيه :

« ان أمة قتلت عميدها ، في يوم عيدها ، في بيت معبودها ، لحقيق على الله أن يبيدها » ، وهذا الكتاب المسجع .... ان لم يكن صدر عن ملك الفرنجة ، فهو وصف لواقع الحال . —

قد أخلف الوعد بدرٌ قد شُغفت به ... من بعد ما قد وفى دهري بما وعدا
ان كنت انقض عهد الحب يا سكني ... من بعد هذا فلا عاينته ابدا

وفي رواية :

« ان كنت انقض عهد الحب في خلدي »

وهي أبيات مقبولة من خليفة على كثرة ما فيها من « قد » .

* * *

المسترشد بالله العباسي (١) :

مولده سنة ٤٨٥ خلافته ٥١٢ (١١١٨ م) — مقتله ٥٢٣ (١١٣٥ م) .

من شعره لما أسره السلطان مسعود السلجوقي :

ولا عجبًا للأُسد ان ظفرت بها ... كلاب الاعادي من فَصيح وأعجم
فحربة وحشي سقت حمزةَ الردى ... وموت عليٍّ من حسام ابن مُلجَم

وله ، وقد كسر ، وأشير عليه بالهزيمة فلم يفعل وثبت حتى أسر .

قالوا تقيم وقد احاط ... بك العدو ولا تفر ؟!

---

(١) هو أبو منصور بن الفضل بن المستظهر .

قال فيه السيوطي : « كان ذا همة عالية ، وشهامة زائدة ، وإقدام ورأي ، وهيبة شديدة ، ضبط أمور الخلافة ، ورتبها أحسن ترتيب ، وأحيا رسم الخلافة ، ونشر عظامها ، وشيّد أركان الشريعة ، وطرّز أكمامها ، وباشر الحروب بنفسه . »

وذكره ابن الصلاح في طبقات الشافعية وناهيك بذلك فقال :

« هو الذي صنف له أبو بكر الشاشي كتاب العُمدة في الفقه ، وبلقبه اشتهر الكتاب . فانه كان حينئذ يلقب عُمدة الدنيا والدين . » —

فاجبتُهم : المرء ما لم يتعظ بالوعظ غِر
لا نِلتُ خيراً ما حييـــت ولا عداني الدهرَ شر
ان كنت اعلم أن غير الله ينفع أو يضر

(له بقية) —— عارف النكدي

— وذكره ابن السبكي في طبقات الشافعية ، وقال : «كان في أول أمره تنسك ولبس الصوف وانفرد في بيت العبادة .

وكان مليح الخط ، ما كتب أحد من الخلفاء قبله مثله . يستدرك على كُتّابه ، ويصلح أغاليطَ في كتبهم .

وكانت أيامه مكدرة بكثرة التشويش والمخالفين . وكان يخرج بنفسه لدفع ذلك ، إلى ان وقع في أسر السلطان مسعود .

واكبَرَ أهلُ بغداد ذلك ، حتى قيل : إنهم مشَوا في الأسواق ، وحثوا التراب على رؤوسهم ، وبكَوا وضجوا ، وخرجت النساء حاسرات يندبن الخليفة . ومنعوا الصلوات والخطبة .

ووقعت زلازل يومئذ دامت أياماً . فكتب السلطان سنجر إلى ابن أخيه مسعود يقول :

« ساعةَ وقوف الولد غياث الدنيا والدين على هذا المكتوب ، يدخل على أمير المؤمنين ، ويقبل الأرض بين يديه ، ويسأله العفو والصفح ويتنصل غايةَ التنصل . فقد ظهر عندنا من الآيات السماوية والأرضية ، ما لا طاقة لنا بسماع مثلها ، نقلاً عن المشاهد من العواصف والبروق والزلازل .... وتشويش العساكر ... وامتناع الناس من الصلاة في —

ـ الجوامع ... ومنع الخطباء . فالله الله تتلافى أمرك وتعيد أمير المؤمنين إلى مقر عزه ... »

غير أن سبعة عشر باطنياً من العسكر ، هجموا على الخليفة في خيمته ، فقتلوه وجرحوه ما يزيد على عشرين جراحة ، ومثلوا به ، فجدعوا أنفه ، وأذنيه وتركوه عرياناً . وأطلقوا ما ظهر من الآيات السماوية والأرضية ... وقتلوا معه جماعة من أصحابه . قيل ان مسعوداً ما علم بهم ، وقيل بل علم ، وقيل بل هو الذي دسهم .

وفي المسترشد يقول وزيره : جلال الدين الحسن بن علي بن صدقة :

وجدت الورى كالماء طعماً ورقة وأن أمير المؤمنين زلاله
وصورت معنى العقل شخصاً مصوراً وأن أمير المؤمنين مثاله
ولولا مكانُ الدينِ والشرعِ والتقى لقلت من الاعظام جل جلاله

ومن قول المسترشد :

« اللهم أصلحني في ذريتي ، وأعني على ما وليتني ، وأوزعني شكر نعمتك ، ووفقني وانصرني » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما كُتب عن الشاعر

دعبل بن علي الخزاعي

في القديم والحديث

— دراسة نقد وتقويم —

كان ينبغي أن تجتمع لدينا – منذ بدأنا نعنى بفهم تراثنا الأدبي ودرسه — دراساتُ نقدٍ وتقويم ، تجمع ما كتب عن كل شاعر وكاتب ولغوي ، فتصنفه وتعرض بعضه على بعض ، وتنقده وتبين قيمته وتظهر خطأه وصوابه ؛ فتكون — بذلك — في يد الباحث دليلاً ميسراً جامعاً يسهل له طريق البحث ويوسع رقعته ، ويجنبه بعض مزالقه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولو عني الدارسون فينا — كلٌّ في نطاق درسه — أن يصنع هذا الصنيع لاجتمع لدينا من ذلك مقدار لا يسهل حصره ، وتيسر لمن بعدنا ما لم يتيسر لنا . وإني عنيت بدرس شاعر آل البيت دعبل بن علي الخزاعي دراسة منهجية خرجتُ منها بهذا التقويم ؛ فأرجو أن يكون فيه نفع لكل من له بالشعر السياسي أو بهذا الشاعر الكبير وشعره صلة .

* * *

يمكن أن يجعل ما كتب عن هذا الشاعر — في القديم والحديث — في ثلاث فئات :

١ — كتب التراجم قديمها وحديثها : وهي التي تضم ترجمة للشاعر تطول أحياناً حتى تجاوز الصفحات ، وتقصر أحياناً حتى لا تجاوز السطور .

٢ — كتب الأخبار : وهي التي لا تضم ترجمة لشاعر ، ولكنها تسوق أخباراً عنه تأتي في مواضعها ، فهذه قديمة كلها .

ويمكن أن تعد بعض كتب التراجم السابقة في هذه الفئة أيضاً ، لأنها تحوي أخباراً عن الشاعر ، فضلاً عن الترجمة التي جمعتها له .

٣ — الدراسات التي كتبت عن الشاعر وشعره . ونعد منها :

(أ) المقالات المتفرقة التي نشرت في بعض الدوريات أو صدرت في الكتب .

(ب) والكتب الصغيرة التي كتبت عن الشاعر وشعره .

(ج) والبحوث التي كانت لها بالشاعر وشعره صلة من الصلات .

— ١ —

فأما التراجم فقد وقفنا منها على ما يقرب من الأربعين [1] ، يعود أقدمها إلى عصر الشاعر (القرن الثالث) وينتهي بعضها في هذا العصر .

وتعتبر الترجمتان اللتان كتبتا في عصر الشاعر مصدرين ثمينين : فقد كتب الأولى عالم عرف الشاعر وسمعه وحدثه . وكتب الثانية شاعر كانت أخبار الشاعر وشعره في يديه ، ولعله عرف من عرف الشاعر ولقيه .

فالترجمة الأولى كتبها ابن قتيبة [2] (ت ٢٧٦ هـ) في كتابه : الشعر والشعراء . وهي ترجمة صغيرة مثل التراجم الصغيرة التي كتبها ابن قتيبة للشعراء الآخرين . وأثمن ما فيها الرأي الذي أبداه دعبل في شعره على مسمع من

(١) يقع كثير من هذه التراجم في الكتب التي عنيت برجال الحديث ، لأن دعبلا روى بعض الأحاديث عن المأمون ومالك بن أنس وشريك بن عبد الله وغيرهم (انظر تاريخ دمشق ٣/ ورقة ٢٧ و ـ ظ) .

(٢) الشعر والشعراء ٢/٨٢٥ ـ ٩ ؛ وفي الكتاب أخبار أخرى عن الشاعر (ارجع إلى فهرس الأعلام) .

ابن قتيبة . وبلغت نظرنا في الترجمة — وكاتبها من أعلا رجال السنة في عصره — خلوها من الطعن والتشنيع على الشاعر . وهي — فيما عدا ذلك — نقول مختصرة من شعره في الهجاء ، مع تعقيب سريع على بعضها .

والترجمة الثانية كتبها ابن المعتز [1] (ت ٢٩٦ هـ) في كتابه : طبقات الشعراء . وهي مثل الترجمات في هذا القرن : صغيرة تجتمع فيها بعض الأخبار على غير صلة . وخير ما فيها لقاء المبرد (ت ٢٨٥ هـ) — وهو شاب — لدعبل ، فان شيئاً هاماً يمكن أن يستخلص منه . وبلغت نظرنا أيضاً خلو الترجمة — وكاتبها ممن ينعتون بالنصب وبغض الشيعة — من الطعن والتجريح . بل ان فيها النص على مكانة دعبل وشعره في عصره ، وبعد عصره قليلاً .

وفي القرن الرابع يكتب أبو الفرج الأصفهاني [2] (ت ٣٥٦ هـ) في موسوعته الكبيرة : الأغاني أوفى ترجمة للشاعر . فهذه الترجمة تعتبر — إلى اليوم — أوفى ما جاءنا عن الشاعر . وعنها أخذ الذين ترجموا للشاعر بعد أبي الفرج ، بحيث اقتصر جديدهم على بعض الأخبار المتفرقة القليلة . وما كان يمكن أن يُعرف دعبل على نحو ما نعرفه اليوم لولا ما كتبه أبو الفرج .

والترجمة طويلة في أكثر من سبعين صفحة ، يمكن أن تستخلص منها ملامح الشاعر الأساسية . والأخبار فيها مسندة كلها ، ولكن الاسناد لا يخليها — حين نجمع بعضها الى بعض — من التناقض في بعض الأحيان . وقد يصعب على الباحث أن يوفق بين الروايات المتضاربة في بعض المواضع . وليست هناك صلة بين هذه الترجمة والترجمتين المتقدمتين ، فقد أخذها أبو الفرج عن رواة عرفهم .

(١) طبقات الشعراء ٢٦٤ — ٨ ، وفي الكتاب أخبار كثيرة أخرى عن الشاعر : (فهرس الأعلام) .

(٢) الأغاني ٢٠/٦٨ — ١٤٠ ، وفي الموسوعة أخبار كثيرة أخرى عن الشاعر .

وكتب المرزباني (ت ٣٨٤ هـ) — في هذا القرن أيضاً — ترجمة أخرى في كتابه : تلخيص أخبار شعراء الشيعة (١) ، وانفرد فيها بايراد روايات شاذة تفسح المجال للبحث والنظر .

وفي القرن الخامس كتبت ثلاث ترجمات للشاعر . الأولى كتبها رجل من رجال الشيعة ، والأخريان كتبها رجلان من كبار رجال السنة .

فالترجمة الأولى للنجاشي (٢) (ت ٤٥٠ هـ) في كتابه المعروف بكتاب الرجال . وليس فيها شيء غير التعريف بنسبه وتشيعه ومؤلَّفيه . ولكن ترجمة أخرى مفيدة — على قصرها — كتبها النجاشي في الكتاب (٣) لأخي دعبل (علي بن رزين) وروى خبرها — بالاسناد — عن ولده إسماعيل ، تعتبر مكملة لترجمة دعبل . وقد أفاد منها الخطيب البغدادي (٤) (ت ٤٦٣ هـ) — كاتب الترجمة الثانية — في الترجمة الصغيرة التي كتبها للشاعر في تاريخه الكبير : تاريخ بغداد . وقد طعن الخطيب — وهو من رجال السنة — على دعبل ، وروى من صفاته ما يقبح في العين وينقض ما نعرف من صفات الشاعر في المصادر المتقدمة . وتعتبر هاتان الترجمتان — على كل حال — مفيدتين في تحقيق بعض الأخبار وتوقيت بعض الأحداث في حياة دعبل .

والترجمة الثالثة وردت في الكتاب الموسوم بتراجم الشعراء والمنسوب إلى

(١) وصلت إلينا نبذة مختارة من الكتاب فيها ترجمات ٢٨ شاعراً بينهم دعبل . وهي مخطوطة بمكتبة محسن الأمين ، نقل ما فيها من شعر الشاعر وأخباره في كتابه : دعبل الخزاعي .

(٢) كتاب الرجال ١١٦ — ١٧ .

(٣) المصدر نفسه ١٩٧ — ٨ .

(٤) تاريخ بغداد ٣٨٢/٨ — ٨٥ .

الثعالبي [١] (ت ٤٢٩ هـ) ، وجاءت في موضعها من الكلام على بيوتات الشعر العريقة . وهي تتميز بالعطف الواضح على الشاعر . وفيها أحكام استقرئت من مجموع شعره . وفيها جديد في الأخبار لا يوجد في غيرها [٢] ، فهي — بهذا — تعد ترجمة فريدة لا غنى عنها للباحث .

وفي القرن السادس كتب مؤرخ دمشق الحافظ ابن عساكر [٣] (ت ٥٧١ هـ) في تاريخه الكبير : تاريخ دمشق ، ترجمة كبيرة لدعبل اهتم في مطلعها بما حدّث من الحديث عن المأمون ومالك بن أنس وغيرهما . ونقل جملة من هذه الأحاديث وضعفها . ثم انصرف إلى أخباره لجمع الروايات المتعارضة عن اسمه ونسبه . ونقل ما جاء في تاريخ بغداد عن صفاته . وأعاد رواية بعض الأخبار التي نجدها في الأغاني بإسناد جديد خاص . والجديد عند ابن عساكر — من أخبار الشاعر — تسميته امرأة الشاعر ورده خبر قتله على يد المعتصم . وقيمة الترجمة في أن أخبارها كلها تقع بإسناد دقيق حي يحسنه رجال الحديث ، فهذا يعين على التحقيق والموازنة .

وفي القرن السابع كتبت ثلاث ترجمات للشاعر . فأما الأولى فكتبها ياقوت [٤] (ت ٦٢٦ هـ) في معجمه الكبير : معجم الأدباء (ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب) . وهي قصيرة ليس فيها جديد . ولكن احاطته بالترجمات السابقة واطلاعه على شعر الشاعر عيناً له أن يوازن بين بعض الأخبار ويصدر بعض الأحكام . فهذا هو الجديد عنده . ولم يبد ياقوت تحاملاً على الشاعر ،

---

(١) يغلب أن يكون ذلك خطأ لأننا عارضنا بعض ما فيه من شعر دعبل على ما ورد منه في كتب الثعالبي الأخرى فاختلفا .

(٢) تراجم الشعراء ورقة ٨٤ — ٩٨ .

(٣) تاريخ دمشق ٣/ ورقة ٢٧ و — ٣٣ و .

(٤) معجم الأدباء ١١/١٠١ — ١٠٦ .

على ما يرى به في بعض كتب الشيعة . وقد كان قادراً على أن ينقل من صفات الشاعر ما تفرق في بعض التراجم السابقة ، ولكنه لم يفعل .

والترجمة الثانية كتبها ابن العديم [١] (ت ٦٦٠ هـ) في تاريخه الكبير الذي سماه : بغية الطلب في تاريخ حلب . وهي طريقة أخذ فيها كثيراً عن ابن عساكر ، وزاد عليه أشياء هامة لا يستغنى عنها في تأريخ حياة الشاعر .

والترجمة الثالثة كتبها بعده ابن خلكان [٢] (ت ٦٨١ هـ) في وفيات الأعيان معتمداً الأغاني وتاريخ بغداد . وليس فيها جديد على الاطلاق . إلا أنه جعل الشاعر في أولها خزاعياً صليبة ، ثم جعله في آخرها خزاعياً بالولاء ! وقد نقل عنه القولين — على ما يبدو — ابن حجر [٣] (ت ٨٥٢ هـ) بعد ذلك في لسان الميزان .

وفي القرن الثامن كتبت سبع ترجمات للشاعر لا يكاد يكون فيها جديد . فالثلاث الأولى كتبها الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) في ميزان الاعتدال [٤] وسير أعلام النبلاء [٥] وتاريخ الاسلام [٦] . وأكبرها ما جاء في تاريخ الاسلام ، وأصغرها في ميزان الاعتدال . والجديد فيها رأي الذهبي الصريح — وهو من أعلام رجال السنة — في دعبل . وهو رأي لا ينتهي قبحه . ثم إضافة قبيحة أيضاً إلى صفاته الجسدية التي بدأ خبرها عند الخطيب البغدادي . وما تبقى — في تاريخ الإسلام — فمأخوذ كله عن المصادر المتقدمة دون اسناد . وفي إيراده

---

(١) بغية الطلب ٥/ ورقة ٣١٨ وما حولها .
(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٣٤ ـ ٨ .
(٣) لسان الميزان ٢/ ٤٣٠ ـ ٣٢ .
(٤) ميزان الاعتدال ١/ ٣٢٨ .
(٥) سير أعلام النبلاء ٨/ ورقة ١٣٨ ظ .
(٦) تاريخ الاسلام ٣/ ورقة ١٨٧ ـ ٩٤ .

التفات خاص إلى أخبار مجانه وتقول من شعره فيه ، بحيث تومئ كلها إلى شذوذ الشاعر وتمثل ما أعلن — في الميزان والسير — من « رفضه » و « خبث لسانه ونفسه » ٠

وقد عني الذهبي — بصفته من رجال الحديث — عناية خاصة برد الأحاديث التي حدث بها دعبل رداً صريحاً قاطعاً ، وأعاد قول الخطيب البغدادي فيها ، وسمى الذين روى عنهم ورووا عنه ٠

والترجمة الرابعة كتبها ابن فضل الله العمري [1] (ت ٧٤٩ هـ) في كتابه الكبير : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، بلغته المسجوعة ٠ وهو ممن يبغضون الشاعر بغضاً شديداً لأنه أطلق لسانه في الناس ٠ ويبدو أنه متأثر — في ذلك — ببعض المصادر المتقدمة التي أكثرت من ذم الشاعر ٠ وليس فيها جديد على كل حال ٠

والترجمة الخامسة التي كتبها ابن شاكر الكتبي [2] (ت ٧٦٤ هـ) في عيون التواريخ لخص فيها أخباراً من تاريخ دمشق وتاريخ بغداد كان ابن خلكان نقلها من قبل ، فليس فيها إذن شيء خاص نقف عنده ٠ ولم يبد ابن شاكر ميلا إلى النظر في أي خبر ليقول فيه قوله ٠

ويصح ما قلناه هنا أيضاً على الترجمة السادسة التي كتبها الصفدي [3] (ت ٧٦٤ هـ) في الوافي بالوفيات ٠ على أنه أفاد — على عادته — من جهد ابن شاكر في التلخيص ، ونظر فيما كتبه الذهبي في تاريخ الاسلام ، ونقل قوله فيما حدث دعبل من الحديث ٠

---

(١) مسالك الأبصار ٩/ ورقة ٢٨٤ — ٨٨ ٠

(٢) عيون التواريخ ١/ ورقة ١٦٣ و — ١٦٥ و ٠

(٣) الوافي بالوفيات ٨/ ورقة ٥٣ و ٠

والترجمة الأخيرة كتبها اليافعي [1] (ت ٧٦٨ هـ) في مرآة الجنان . وهي أسطر تحمل أخباراً قليلة معروفة عن موته ونسبه ورثاء البحتري له ، وما رواه دعبل — ونقله الجاحظ ورددته بعده بعض المصادر — عن ديك سهل ابن هارون .

وفي القرن العاشر كتبت ترجمتان سنيتان . الأولى قصيرة كتبها طاشكبري زاده [2] (ت ٩٦٢ هـ) في مفتاح السعادة ، وليس فيها شيء : نقل بعض ما تفرق من صفات الشاعر الجسدية التي أبرزتها بعض مصادر أهل السنة منذ الخطيب البغدادي في القرن الخامس كما قلنا ، وذكر « تخرجه » على مسلم بن الوليد ، وقوله في فضل الشعر ، وحدد تاريخ وفاته .

والثانية طويلة كتبها عبد الرحيم العباسي [3] (ت ٩٦٣ هـ) في معاهد التنصيص ، ونقل فيها أطرافاً من أخبار الشاعر في الأغاني ووفيات الأعيان ، من الكتب المتقدمة .

وفي القرن الثاني عشر كتبت ترجمتان . كتبهما يوسف بن يحيى [4] (ت ١١٢١ هـ) في : نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر ، والبيتي العلوي [5] (ت ١١٨٢ هـ) في مواسم الأدب ، واتكآ فيهما على مصادر أهل السنة ، ونقلا أشياء عن معاهد التنصيص والأغاني . ويبدو أن زبدية الكاتب الأول

---

(١) مرآة الجنان ٢/١٤٦ — ٧ .

(٢) مفتاح السعادة ١/٢٠١ ـ ٢٠٢ .

(٣) معاهد التنصيص ٢/١٩٠ ـ ٢٠٦ .

(٤) نسمة السحر ١/ ورقة ١٨٩ ظ وما بعدها .

(٥) مواسم الأدب ١/١٦١ ـ ٦٤ ولدعبل فيه أخبار أيضاً : ١ / ١٧٣ ـ ٧٥ و ١/١٧٧ و ٢/١٣٩ .

(يوسف بن يحيى) حجزته عن الارتماء في مصادر الامامية، فبدا — في ترجمته — قريباً من أهل السنة، متحرراً — في بعض أحكامه — من اغلال المذهب.

وكتبت في القرن الذي نحن فيه ترجمات يمكن أن تلحق بالترجمات القديمة: فما أورده الماماقاني[1] (ت ١٣٥١ هـ) — وهو من رجال الشيعة — في تنقيح المقال تعريف بمقام الشاعر في أهل الحديث من الشيعة، نقل مادته عن رجال النجاشي وغيره من مصنفات الشيعة. وتنقصنا فيه لمحات يمكن استغلالها في تحديد صلات الشاعر ببعض الأئمة من آل البيت.

وما كتبه حسن الصدر[2] (ت ١٣٥٤ هـ) — وهو من رجال الشيعة أيضاً — في: تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام أخذه عن جملة من كتب الأخبار والترجمات القديمة سنية وشيعية. على أنه حاول أن ينظر في بعض الأخبار التي تعنيه ويحققها.

*

هذه هي جملة الترجمات القديمة وشبه القديمة التي كتبت عن الشاعر[3]، ويمكن أن نخلص منها بالملاحظات التالية:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) تنقيح المقال ٤١٧ ـ ١٩.
(٢) تأسيس الشيعة ١٩٣ ـ ٩٥.
(٣) أغفلنا ترجمات أخرى لا غناء فيها مع ما ذكرنا. ويمكن الرجوع إليها في الكتب التالية: كتاب الرجال للطوسي (ت ٤٦٠ هـ) ونهاية الأرب للنويري (ت ٨٢١ هـ) وخلاصة الأقوال في معرفة الرجال لابن المطهر الحلي (ت ٧٢٦ هـ). ولسان الميزان لابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي (ت ٨٧٤ هـ) وجامع الرواة للأردبيلي (ت ٩٩٣ هـ) وشذرات الذهب لابن العماد (ت ١٠٨٩ هـ) ومنتهى المقال لأبي علي المازندراني (ت ١٢١٥ هـ) وهدية العارفين للبغدادي (ت ١٣٣٩ هـ) ومنهج المقال لميرزا محمد (ت ١٣١٢ هـ) والذريعة إلى تصانيف الشيعة لآغا بزرك. وترجمات أخرى صغيرة في بعض كتب الحديث.

ا — بعد ما كتبه أبو الفرج في الأغاني عمدة هذه الترجمات وما جاء من الجديد في بعض الكتب بعده — حتى القرن السادس — يسير قد ينفع في التحقيق والموازنة . وليس بعد ذلك شيء يضاف إلى ما تقدم .

ب — ينتهي الاسناد في أخبار الشاعر ، في القرن السادس . وما جاء بعده نقل عن المصادر المتقدمة نقلا ولم يؤخذ بطريق الرواية الحية .

جـ — تفترق مصادر أهل السنة عن مصادر الشيعة في تصوير الشاعر : فعلى حين تصوره الأولى شاعراً شاذاً خبيث اللسان أصم أحدب في قفاه سلعة ، تعده الثانية بطلاً من أهل الإيمان والمنزلة ، لا تأخذه في الحق لومة لائم .

د — تكون هذه الترجمات — على اختلافها — من أخبار مخلخلة تتوقف — أحياناً — اطرافها وإثارتها . على أنها تعتبر مادة أساسية يمكن أن تستغل في كتابة حياة الشاعر أو تحديد ملامحها على الأقل ، على أن تخضع للنقد ، وتصفى ، وتسد ثغرها ، وتوضع الأحداث في مواضعها — قدر الامكان — حتى يبدو عمل الحياة فيها نمواً واطراداً .

ولننظر الآن في الترجمات الحديثة التي كتبت عن الشاعر ، في ضوء هذه الملاحظات :

فأما الترجمة الأولى فقد كتبها شاده (A. Shaade) في دائرة المعارف الاسلامية [1] ، معتمداً فيها — على ما يبدو — الأغاني وحده ، مع نظرات في معجم البلدان ، وان جهد أن يحيط بكل ما كتب عن الشاعر ، بما ذكره في مصادر المادة التي كتبها . فهذا قصر خطوه ، وأغرقه في افتراضات كان يمكن أن ينفصل في بعضها لو وسّع الإحاطة بالمصادر الأخرى ، فان فيها

(١) Encyclopédie de l'Islam 1994 – 5 وانظر الترجمة العربية ٢٤١/٩ — ٤٤ ، وقد لاحظنا أن هذه الترجمة لا تتسم بالدقة في أكثر من موضع .

— كما رأينا — روايات تنفع في التحقيق والموازنة ، وقد تسد بعض الثغر . وأغفل — من ناحية أخرى — حقائق في حياة الشاعر لعل الترجمة المختصرة لم تسعها .

على أنه يحمد له أن يسلم — منذ مطالع الترجمة — بعجزه عن كتابة حياة الشاعر ، ويقصر الترجمة على استخلاص بعض الحقائق ومحاولة ترتيبها ترتيباً تاريخياً ، وان بدأ ذلك في بعض جوانبه مختلا . على أنه لما انتهى إلى أن ينظر في شعر دعبل « نظرة نقدية » — على نحو ما سماها — أخطأ خطأ بليغاً ظهر أثره فيمن كتب بعده عن الشاعر من المستشرقين .

والترجمة الثانية كتبها بروكلمان C. Brockelmann في كتابه الكبير : تاريخ الأدب العربي [1] ، واعتمد فيها الأغاني أولاً ، ثم بعض الإشارات المتفرقة في معجم البلدان والعمدة ورسالة الغفران . ولعله نظر نظرة خاطفة إلى ما كتبه Schaade في دائرة المعارف الاسلامية ، فقد لحق به حيناً ثم اختط لنفسه سبيلاً أخرى أكثر اعتدالاً وحرصاً على الارتباط بالنصوص . ولكنه أخطأ في أكثر من موضع ، وذلك — في النصف الثاني من الترجمة — على أنه لم يحرص على ترتيب حقائق حياة الشاعر ترتيباً تاريخياً بقدر حرصه على أن يعرف به تعريفاً عاماً .

ويبقى فضل ما كتبه — باعتباره فهرسة مفيدة — قائماً .

والترجمة الثالثة كتبها جرجي زيدان [2] (ت ١٩١٤ م) في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية . وهي مكونة من مجموعة صغيرة من أخباره وشعره انتقاها

---

(١) Geschichte der Arabischen Litteratur : الأصل 1/77 والملحق : 2 — 1/121 وانظر الترجمة العربية (ترجمة النجار) ٢/٣٩ — ٤١ (وقد ضم فيها الملحق إلى الأصل) .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ٢/٨١ — ٢ .

من الأغاني أولاً ، ورصنها بحيث قدر أن تبدو منها « شاعرية » دعبل وقدرته على « انتقاء الألفاظ » وتسلطه على الهجاء وانصرافه إلى مديح آل البيت بمدائح « بغاية البلاغة » . فالترجمة إذن تعريف مسربع بالشاعر لم يرم كاتبها إلى أبعد منه . وقد تبدو بعض الأخبار التي ساقها نابية في موضعها ، وقد يحتاج بعضها إلى أن ينظر فيه .

والترجمة الرابعة كتبها هيوار Cl. Huart في كتابه أدب عربي [١] . وهي مختصرة أفاد فيها من الأغاني ومما كتبه Schaade في دائرة المعارف الإسلامية . ولم يرم إلى أكثر من أن يعرف بالشاعر وبمكانته الفنية تعريفاً عاماً . وبعض ما قاله في حاجة إلى تصحيح .

والترجمة الخامسة كتبها بطرس البستاني [٢] في كتابه : أدباء العرب في الأعصر العباسية فأحسن — أحياناً — فهم الأخبار . ولكنه ظن أن ما قرأه منها جامعاً لأخبار حياة الشاعر كلها فأجاز لنفسه أن يخطئ ويصوب ويقرر الأحكام في غير حرج . ويؤخذ عليه — في الجملة — ابرامه الأحكام القاسية العامة في غير كلفة ، من مثل قوله : « فليس في أخلاق دعبل ما يستحق الحمد والثناء ، فهو عصارة اللؤم المصفى » . ولو قدر له أن يطلع على أخبار الشاعر في كتاب الفهرست لابن النديم لرجع عن كثير مما قاله . ولو اطلع على نماذج أخرى من شعره — غير التي قرأها — لغير ذلك مما قاله في شعره وسلكه فيه . وربما كان اطلاعه على ترجمة الشاعر في تاريخ دمشق لابن عساكر ينفعه في نقد بعض الروايات التي قرأها في الأغاني ، عن طريق مقابلتها بروايات أخرى في تاريخ دمشق أكثر اتفاقاً مع ما نعرف من أحداث حياة الشاعر وما نقرأ من شعره .

(١) Litterature arabe P. 76 — 9

(٢) أدباء العرب في الأعصر العباسية ١٢٣ ـ ٣٦ .

والترجمة السادسة كتبها محمد سيد كيلاني [١] في كتابه : أثر التشيع في الأدب العربي ، ووفق فيها — من حيث لا يدري على الأغلب — إلى أن عد الشاعر كيسانياً مثل كثيّر والسيد الحميري ! ولم يفرق بين موضع ولادته وموضع موته . ولم يكن لكاتبها — فيما يبدو — غرض غير التعريف بالشاعر على الوجه الذي اختاره !

والترجمة السابعة كتبها حنا الفاخوري [٢] في كتابه : تاريخ الأدب العربي ، فأحسن فيها قراءة النصوص فلم يشذ عنها . واقتصر على ملامح حياته الكبيرة المقررة . وأفاد مما كتبه العقاد في المراجمات فخرج — في دراسة صلوكه باعتماد النص — بحكم يماثل حكمه . ويؤخذ عليه التعميم الذي يضيع في ثناياه كثير من المفارقات الانسانية ذات الأثر الواضح في تكوين ملامح الإنسان النفسية وتفسير سلوكه . على أن الترجمة — وهي تمتاز دراسة أيضاً — تؤدي غرضها المدرسي الذي كتبت من أجله . وقد بث فيها نظرات نقدية صليمة على الاجمال أفاد في بعضها مما كتبه مارون عبود في الرؤوس .

والترجمة الثامنة كتبها الدكتور ناصر الحاني [٣] في كتابه : النقد الأدبي وأثره في الشعر العباسي ، واعتمد فيها الأغاني وحده تقريباً . وكان غرضه أن يصور مسلك الشاعر في الهجاء (وهو المسلك التقليدي في رأيه) فأكثر من عرض النماذج التي تدلل على « شرة الشاعر واستعداده للهجاء » .

والترجمة التاسعة — وهي الأخيرة — كتبها الدكتور محمد نبيه حجاب [٤]

---

(١) أثر التشيع في الأدب العربي ١٢٦ ــ ٣٠ .
(٢) تاريخ الأدب العربي ٥٠٥ ــ ٨ .
(٣) النقد الأدبي وأثره في الشعر العباسي ١٤٦ ــ ٦٣ .
(٤) مظاهر الشعوبية في الأدب العربي ٤٠١ ــ ٤ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

في كتابه : مظاهر الشعوبية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، وهي – كلها – ورطة كبيرة ساقه إليها وهم وقع فيه ابن خلكان إذ أخرج الشاعر من العرب ، وزاد عليه هو فأدخله في الفرس ! وقد كان نظر بسيط في خبر ابن خلكان يعطفه على مطلع الترجمة كفيلاً أن يجلو الأمر . ثم لم يكفه ذلك فأخرج الشاعر من الشيعة أيضاً وعد تشيعه « لمآرب سياسية فارسية » ! ودلل على ذلك بما ذكره من افتراء الشاعر لحديث على أنس بن مالك – ولم يقل بذلك أحد غير الكاتب – وبما قاله فيه أبو العلاء في رسالة الغفران ! ثم فسر – بعد ذلك – بعض هجائه تفسيراً يصفه بهذه المقدمات .

* * *

نخرج من تقويمنا للترجمات الحديثة (١) التي كتبت عن الشاعر بغير طائل كبير . وقد كتب معظمها للتعريف بالشاعر . وما كتب منها للدراسة والبحث قصر عن الإفادة من مصادر كثيرة ونماذج مدفونة من شعره كانت تعين على تصحيح بعض الأحكام وجلاء بعض الغوامض . ويبقى ما كتبه Schaade في دائرة المعارف – على ما فيه – أقربها إلى التدقيق والالتزام بمنهج من المناهج ، وأكثرها شعوراً بالتبعة ورغبة في مواجهة الصعاب . ثم يليه في ذلك بطرس البستاني وحنا الفاخوري .

– ٢ –

فأما كتب الأخبار فليست كثيرة . والأخبار فيها متفرقة مبتورة . وهي

(١) أغفلنا ذكر الترجمتين الواردتين في كتاب عصر المأمون لمحمد فريد الرفاعي (٣/٢٠٠ – ٦٤) والحياة الأدبية في العصر العباسي لعبد المنعم خفاجي (١٧٨ – ٨٩) لأنهما مجموعة من النقول عن الأغاني بخاصة ، ويمكن أن تلحقا بالترجمات شبه القديمة التي ذكرناها هنا من قبل .

أكثر ما تعين على دراسة شعر الشاعر ومعرفة قدره في الرواية وذوق الشعر . وقد يعنى بعضها بتفصيل واقعة من الوقائع في حياة الشاعر أو حياة بعض من كانت له بهم صلة لصيقة ذات أثر في حياته . وربما عجزنا عن استغلال بعض الأخبار فيها لما يتخلل حياته من غموض وانقطاع في بعض الأحيان .

وأم هذه الكتب [1] :

كتاب بغداد لابن طيفور (ت ٢٨٠ هـ) وهو يلقي ضوءاً حسناً على صلات الشاعر ببعض رجال العصر في خلافة المأمون .

وديوان ابن الرومي المخطوط بدار الكتب المصرية (١٢٩ أدب) . وهو لا غنى عنه في دراسة تأثير شعر الشاعر على كبار الشعراء بعده ، وما سبق إليه من طرق الهجاء .

وكتاب الورقة لابن الجراح (ت ٢٩٦ هـ) ويكاد يحفظ لنا ملامح كثيرة متكاملة من كتاب دعبل الضائع : طبقات الشعراء ، ويصور لنا منهجه الذي اتبعه في تصنيفه . وربما أعان على تقدير مكانته في الدراية بالشعر والشعراء وصلته ببعض معاصريه منهم .

وكتاب الوزراء والكتاب للجهشياري (ت ٣٣١ هـ) ويعين على فهم صلات الشاعر ببعض وزراء العصر وكتابه .

وكتاب أخبار أبي تمام والأوراق للصولي (ت ٣٣٥ هـ) صانع ديوان دعبل .

(١) أغفلنا الكتب الثانية لأن في بعض ما سنذكره غناء عنها : الفرج بعد الشدة للتنوخي (ت ٣٨٤ هـ) ومعرفة أخبار الرجال للكشي (القرن الرابع) والارشاد للشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (ت ٥٨٨ هـ) وبشارة المصطفى للطبري الآملي (القرن السادس) وروضة الواعظين للفتال النيسابوري (القرن السادس) والغرر والعور للوطواط (ت ٧١٨ هـ) .

ويعنى الأول ببعض أخبار الشاعر مع أبي تمام . وقد يفتح بذلك باباً لتبين صلات الشاعر بشعراء عصره . ويعنى الثاني بأخبار الشاعر مع إبراهيم بن المهدي ؛ وهي أخبار معروفة تعين على توثيق ما جاء منها في المصادر الأخرى .

وكتاب الولاة (ولاة مصر) للكندي (ت ٣٥٥ هـ) ويجلو أحداثاً وصلات تتصل بحياة الشاعر في مصر .

وكتاب الموازنة والمؤتلف والمختلف للآمدي (ت ٣٧٠ هـ) والموشح ومعجم الشعراء للمرزباني (ت ٣٨٤ هـ) وتنفع في دراسة شعره وأحكامه النقدية ومعرفته بالشعراء وشعرهم ، وفي استكمال ملامح نافعة من كتابه الضائع : طبقات الشعراء .

وكتاب عيون أخبار الرضا لابن بابويه (ت ٣٨١ هـ) وهو من كتب الشيعة المتقدمة . وينفع في تصوير ما عنوا به من أخبار مقابلة الشاعر للإمام الرضا في خراسان ، وما تناقلوه — من بعد — عن انتفاعه بجبة الإمام .

وكتاب مرآة المروءات للثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) وفيه خبر هام يعين على تقدير ما عرف في عصر الشاعر من حسبه ومروءته .

وكتاب الإبانة عن سرقات المتنبي للعميدي (ت ٤٣٣ هـ) وينفع في دراسة مكانة شعره وتأثيره على كبار الشعراء من بعده .

وكتاب الأمالي للطوسي (ت ٤٦٠ هـ) وهو من مصادر الشيعة ، وينفع في تصوير مقابلة دعبل للمأمون وانشاده رائيته الكبيرة .

وكتاب العمدة لابن رشيق (ت ٤٦٣ هـ) وفيه أخبار متميزة تنفع في دراسة شعره وتلقي ضوءاً على بعض أحداث حياته .

وكتاب معجم البلدان لياقوت (ت ٦٢٦ هـ) وفيه أخبار كثيرة هامة ترد

في مواضعها من الكلام على بعض البلدان والمواقع . وهي أخبار تنفرد بها ياقوت بحيث لا يمكن أن يستغنى عن معجمه هذا في معرفة الشاعر .

وكتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي (أواخر القرن السابع) وينفع في معرفة ما وقع لدعبل مع الشاعر التاهرتي بكر بن حماد الذي كان يزور بغداد أيام المعتصم . ويبين جانباً من عطف أبي تمام على دعبل ودفعه المكروه عنه . وخبره في ذلك فريد .

وكتاب الفصول المهمة في معرفة الأئمة لابن الصباغ المالكي (ت ٨٥٥ هـ) وهو من كتب الشيعة المتأخرة . وقد نقل وصف زيارة الشاعر الإمام الرضا في خراسان ، على نحو ما وردت في كتب الشيعة من قبل . على أن فيه ما يعين على فهم عقيدة الشاعر فهماً حسناً .

* * *

ونعتقد أنه لا يمكن أن يستغنى عن كتاب من هذه الكتب في كتابة حياة الشاعر وفهم تجاربه ودراسة شعره ، فان في كل منها أخباراً ينفرد بها بحيث يغني جانباً ليست للكتب الأخرى صلة بها [1] .

(١) يمكن أن نضيف الى ما ذكرنا الكتب التالية ـ وفيها أخبار متفرقة ينفع بعضها : العقد الفريد لابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) ، والأمالي وذيله للقالي (ت ٣٥٦ هـ) ، وزهر الآداب وذيله للحصري القيرواني (ت ٤٥٣ هـ) ، والأمالي والحماسة لابن الشجري (ت ٥٤٢ هـ) والحماسة البصرية للبصري (ت ٦٥٩ هـ) ، وجمهرة الإسلام الشيزري (ت ٦٢٢ هـ) ومعالم العلماء لابن شهرآشوب (ت ٥٨٨ هـ) ، ومقتل الحسين لأخطب خوارزم (ت ٥٦٨ هـ) والدر الفريد لابن أيدمر (ت ٦٩٤ هـ) ، وكتب التذكرات لابن حمدون (ت ٥٦٢ أو ٦٠٨ هـ) والصفدي (ت ٧٦٤ هـ) ، وتحفة المجالس للسيوطي (ت ٩١١ هـ) والمنتخب في المراثي والخطب لابن طريح النجفي (ت ١٠٨٥ هـ) والمجموعة المخطوطة (٨٧٥ أدب تيمور) بدار الكتب المصرية .

أما الدراسات التي كتبت عن الشاعر فلا تتعدى — كما قلنا من قبل — :

أ — مقالات قليلة نشرت في بعض المجلات والكتب .

ب — وكتباً صغيرة صدرت في بغداد ودمشق .

جـ — وآراء وأحكاماً تتصل بالشاعر وشعره ، في بعض البحوث .

نعد من المقالات ما كتبه العقاد في كتابه : مراجعات في الآداب والفنون ، وما كتبه مارون عبود في كتابه : الرؤوس ، وما نشره عبد الحليم عباس وعبد العظيم علي القناوي في مجلة الرسالة .

ونعد من الكتب كتاب السيد محسن الأمين الذي سمي (دعبل الخزاعي) ، وهو طبعة مستقلة لما نشر — في الأصل — في كتابه الضخم أعيان الشيعة . والكتاب الصغير الذي أصدره جرجس كنعان وسماه (دعبل الخزاعي) أيضاً . والفصل الذي عقده خليل رشيد في كتابه المشير : ثلاثة من الأعلام .

ونعد من البحوث التي وردت فيها آراء وأحكام تتصل بالشاعر وشعره كتاب ابن الرومي : حياته من شعره للعقاد ، وكتاب صريع الغواني للدكتور جميل سلطان ، وكتاب المدائح النبوية في الأدب العربي للدكتور زكي مبارك وكتاب تاريخ الشعر السياسي لأحمد الشايب ، وكتاب Langue et littérature arabes لبلا (Cl. Pellat) ؛ كتاب Un poète arabe du III : Buhture siècle de l'Hégire للدكتور صالح الأشتر ، وكتاب حركات الشيعة المتطرفين وأثرهم في الحياة الاجتماعية والأدبية لمدن العراق للدكتور محمد جابر عبد العال ، وكتاب أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثاني الهجري لعبد الحسيب طه حميدة ، وكتاب الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري للدكتور أحمد عبد الستار الجواري ، وكتاب مسلم بن الوليد صريع الغواني لفؤاد حنا ترزي ، وكتاب فن الهجاء لايليا حاوي .

* * *

١ — ونعتبر مقالة العقاد [١] — على قصرها وضعف التثبت من النصوص التي اعتمدتها والرغبة العميقة في التعميم — مقالة رائدة ، ألقت ضوءاً كاشفاً على نفس الشاعر ، فأعطت بهذا تفسيراً جامعاً لسلوكه . وقد أفاد منها كثير من الباحثين تابعوا العقاد ، على غير وعي أحياناً بما يضيعه التعميم من مفارقات عظيمة الخطر .

ونقل عنها كثيراً المقالة التي كتبها مارون عبود [٢] ، فقد درج فيها على نهجه الذاتي المفرط . ولم يفلح تظرفه وأسلوبه المسرحي في إلقاء الأحكام في أن يخفي ابتسارها . وغرق — وهو يسبح وراء العقاد — في محاولة لقياس شخصية الشاعر بمقياس واحد مستخلص من فروق ذهنية غامضة بين كلمتي : الظرف والشطارة .

فأما مقالة عبد الحليم عباس : دعبل الخزاعي الشاعر المتمرد [٣] ، فقد انطلق فيها مما كتبه العقاد . ولكنه فرط — في النصف الأول منها — بالكلام على شعره ، فلما بدأ — في النصف الثاني — الكلام على نفسه لتفسير تمرده بدا معوله كليلا ، فاكتفى بأن ضرب أمثلة من هجائه ، ثم انتهى إلى أن نفسه « فطرت على الشر » ، « فالسر في تركيبه » !

ومقالة عبد العظيم علي القناوي : دعبل الشاعر الشجاع الوفي [٤] ، محاولة رقيقة — نظر فيها إلى العقاد أيضاً — لتفسير ما قرر الكاتب من شجاعة الشاعر ووفائه . ولكنه اضطرب بين الأسباب والمسببات فقرر — في البدء — أن « السر في شجاعته أنه كان أول أمره وبدء نشأته من الطريق وولفة دماء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) ساعات في الآداب والفنون ١٦٤ وما بعدها (مع كلامه على بشار بن برد) .
(٢) الرؤوس ١٣٦ — ٩ .
(٣) الرسالة : السنة ٥ ص ١٠٨٧ — ٩ .
(٤) الرسالة : السنة ١٤ ص ١٠٦٠ .

البشر » ! ثم عاد فتحدث عن « نفسيته الحاقدة على البشر » ، ثم رآه — مع ذلك — وفيا لآل البيت !

فمقالة العقاد إذن هي المقالة الأصيلة التي تحكم هذه المقالات وتأسرها ، بحيث تضطرب كلها في شباكها .

ب — فأما كتاب السيد محسن الأمين : دعبل الخزاعي (١) ، فمجموعة من النقول عن المصادر القديمة — سنية وشيعية — جهد أن يرتبها من حول الموضوعات التي قررها ، فأخفق أحياناً . وقد يعجز الباحث أن يلقى الكاتب على صفحات الكتاب إلا في مواضع قليلة ، في مثل الموضع الذي اتهم فيه ياقوتاً بالنصب (٢) . ويبقى للكتاب فضل جمع النصوص من بعض مصادرها الشيعية التي تبعد عنا أحياناً .

وكتاب جرجس كنعان : دعبل الخزاعي (٣) ، محاولة لترتيب مادة الأغاني ترتيباً تاريخياً مع النظر إلى بعض المراجع القليلة الأخرى . وغرضه « إظهار الوجه الأبيض من حياة دعبل » و « الطلوع على العامة بأثر هذه الشدة التي كان يقاسيها أصحاب العقائد (٤) » . وقد كلفه التزام العمل لهذا الغرض أن يصطنع التأويل والافتراض ، ليغطي على القارئ بعض الحقائق . فكان يتلمس لدعبل

---

(١) يقع في حوالى مائة صفحة من القطع المتوسط .

(٢) دعبل الخزاعي للأمين ٧٥ ، وبذلك يبين خطأ من قال فيه : « أن المؤلف يمحص الأخبار ويطرح الزائف منها وينقد المشكوك فيه ، ويقارن ويوازن : وقد يستنبط فوائد كثيرة تدل على ميله إلى التحليل العميق » : ابراهيم الوائلي : كلمة في الكتاب : الرسالة : السنة ١٨ ص ٢٣٠ — ٣١ .

(٣) يقع في ١١٤ صفحة من القطع المتوسط .

(٤) دعبل الخزاعي لكنعان ؛ وهو — في الأصل — رأى السيد محسن الأمين الذي أبداه في كتابه : دعبل الخزاعي للأمين ٨ و ١٩ .

الأعذار جاهداً في كل خطوة ، ويلقي على معاصريه — ممن خالفهم — إصر ما فرط من دعبل !

على أن الكتاب لم يؤت من هنا بقدر ما أتى من معرفة الكاتب بالرجال والأحداث معرفة ناقصة ، ومن جرأته — مع ذلك — على إصدار الأحكام وتخطئة أعلام المؤرخين في أيسر كلفة !

والفصل القصير الذي كتبه خليل رشيد في كتابه : ثلاثة من الأعلام[1] ، نظر فيه نظراً حاداً إلى كتاب جرجس كنعان وترسم طريقه ، ولكنه لم يبلغ مبلغه . فما زاد الفصل على أن يكون تعقيبات انشائية — ذات صبغة مذهبية واضحة — على بعض الأحداث والنصوص الشعرية .

وتبقى بعد ذلك محاولة مدرسية كتبها بدر المقداد — في جامعة دمشق — بعنوان : حياة دعبل بن علي الخزاعي[2] ، وقدم لها بوصف « الحالة السياسية والاجتماعية والدينية والفكرية والأدبية » في عصر دعبل . وتطرق إلى الكلام على عقيدته وتشيعه واتصاله بالخلفاء والأمراء وبعض شعراء العصر . والمحاولة في مستوى مدرسي لا يضير صاحبها .

فليس يكاد يكون في هذه الكتب إذن ما يضيف إلى القديم إضافة حقيقية ملحوظة . ويبقى كتاب الأمين خيرها ، لأنه يجمع بعض المواد المشتتة أو البعيدة فيقربها إلينا .

ج — ويذكر العقاد في كتابه : ابن الرومي : حياته من شعره ، دعبلا

---

(١) يقع الفصل في اثنتين وعشرين صفحة من القطع الصغير : ثلاثة من الأعلام ٩٤ — ١١٦ .

(٢) تقع في تسع وثلاثين صفحة من القطع الكبير .

في موضعين : الأول كلامه على هجاء ابن الرومي [١] ، ويأتي فيه برأي في هجاء دعبل لا تؤيده الشواهد القريبة من شعره . والثاني كلامه على ابن الرومي وشعراء عصره [٢] ، وفيه بيان لتأثر ابن الرومي — في مطلع حياته — بدعبل ، قائم على شواهد صحيحة مما حفظ ديوان ابن الرومي من معارضة لبعض قصائد دعبل . وفيه رأي جريء في تأثير دعبل على ابن الرومي ليس هنا موضع تفصيله .

وعرض الدكتور جميل سلطان [٣] في كتابه : صريع الغواني ، لصلة دعبل بأستاذه مسلم بن الوليد بما لا يخرج عن الروايات المعروفة في المصادر القريبة .

وخصص الدكتور زكي مبارك [٤] في كتابه : المدائح النبوية في الأدب العربي فصلا للكلام على تائية دعبل في مدح آل البيت . ولكنه لم يتكلم عنها ، وانما نقل — في آخر الفصل — أخباراً عنها وردت في الأغاني ثم أوردها كاملة عن معجم الأدباء . فأما الجزء الأول من الفصل فخصصه للنظر في « المشكلة الحقيقية في نفسية دعبل » وفي — في رأيه — اجتماع « الشر » و « التصوف في حب أهل البيت » في نفسه . وقد انتهى — في « حلها » — إلى مقالة العقاد سابقة الذكر ، وما نشك أن الكاتب قرأها قبل أن يكتب هذا الفصل . على أنه قدر أن يتلمس — لأسباب لعلها لا تبعد كثيراً عن نفس الكاتب — عقدة المزيئة في نفس دعبل ، فهذا وحده إضافة كبيرة .

وفطن أحمد الشايب [٥] في كتابه : تاريخ الشعر السياسي إلى صفة عامة من

---

(١) ابن الرومي : حياته من شعره ٢١٧ — ١٩ .
(٢) المصدر السابق ٢٣٥ ـ ٨ .
(٣) صريع الغواني ٢٨ ـ ٣٦ .
(٤) المدائح النبوية في الأدب العربي ١٠٢ ـ ١١٦ (الفصل الخامس) .
(٥) تاريخ الشعر السياسي ١٦٢ وقد عرض الكاتب بالشاعر في مواضع أخرى من كتابه : ص ٩ و ١٧١ ـ ٢ .

صفات شعر الشاعر السيامي ، في انصرافه عن الحجاج إلى التصوير المؤثر . ولكنه قصر ذلك على الثانية لأنه — على ما يبدو — وقف عندها من دون شعره السيامي كله .

وضرب [١] Charles Péllat في كتابه Langue et littératures arabes شعر دعبل مثلا على اختلاط الهجاء بالمديح عند شعراء العصر . وأظهر — في حكمه على شعره — تأثره بما كتبه Schaade في دائرة المعارف الاسلامية .

وعرض الدكتور صالح الأشتر — في مواضع كثيرة من رسالته [٢] : Un poète arabe du IIIe siècle de l'Hégire : Buhturi صلة البحتري بدعبل ، فنحا في تفسيرها نحواً مذهبياً حقيقاً بالنظر ، لما لمس من ميل البحتري إلى التشيع ميلا جهد في اخفائه كي لا يفسد حياته [٣] .

وذكر الدكتور محمد جابر عبد العال [٤] في كتابه : حركات الشيعة المتطرفين وأثرهم في الحياة الاجتماعية والأدبية لمدن العراق ، دعبلا ، فوضعه في الشعراء المجان الذين اتسم هجاؤهم — لتأثرهم بجرأة « الرافضة » في الكوفة بخاصة على الثلب والطعن — بالفحش والاقذاع . وضرب لذلك أمثلة من شعره السيامي . وانتهى إلى أن الشاعر أمامي يدين بعقيدة الامامية !

وورد ذكر الشاعر في كتاب : أدب الشيعة إلى نهاية القرن الهجري ، لعبد الحسيب طه حميدة: مرات قليلة حشر فيها في زمرة الامامية المنادين بالرجعة والواصلين « إلى قمة التصوف في الحب الشيعي والإخلاص في الرأي والفناء في العقيدة [٥] » .

---

(١) Langue et littérature arabes p. 114

(٢) V. l'index des noms propres p. 347

(٣) Une poète arabe du III siècle ... p. 93, 1645

(٤) حركات الشيعة المتطرفين ١١٤ ـ ١٥ ، ١٢٢ ـ ٢٥ (على التعاقب) .

(٥) أدب الشيعة ٩٢ ، ١٠٥ ، ١٥٩ ـ ٦٠ (على التعاقب) .

وذكر الدكتور أحمد عبد الستار الجواري [١] في كتابه : الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث ، دعبلاً في مواضع كثيرة : فضرب من شعره أمثلة من المعاني التي كان شعراء العلوية في عصره يرددونها ، من رثاء آل البيت وهجاء الخلفاء العباسيين . وأشار إلى إسهامه في إثارة العصبية القبلية وتأثره — في أول حياته الفنية — بأستاذه مسلم بن الوليد ، ثم خروجه عليه وعوده إلى « تقليد القدماء واتباع طريقتهم » . وضرب من شعره أمثلة على الهجاء الساخر الذي شاع عند شعراء القرن الثاني وأخذ به دعبل .

وعرض فؤاد حنا ترزي [٢] في كتابه : مسلم بن الوليد صريع الغواني ، لصلة دعبل بمسلم ، فأشار إلى الرعاية الفنية التي شمل بها مسلم دعبلا في مطلع حياته . ولكنه لم يبين أثرها في شعر دعبل ، واكتفى بأن أعاد مارويته المصادر المختلفة من اتفاقهما على المجون يوماً ، وافتراقهما على أثر زيارة دعبل لأستاذه في جرجان .

وعقد ايليا حاوي [٣] في كتابه : فن الهجاء وتطوره في الشعر العربي ، فصلاً تكلم فيه على هجاء الشاعر ودلالاته النفسية . ولكنه قصر اطلاعه على ما في الاغاني ، وعمم أحكامه أحياناً حتى ليعد كلامه — فيها — صورة أمينة لما تحفل به بعض دراساتنا العامة من تفصيلات خاطئة . فاذا تجاوزنا ذلك وأغضينا عن كلف الكاتب — في بعض الأحيان — بالتعبير الغريب الغامض ، خرجنا

---

(١) الشعر في بغداد ١٠٦ — ٩ ، ١١٧ ، ١٤٠ — ٤٢ ، ٢٣٣ ، ٢٤٢ ، — ٤٣ ، ٢٤٦ (على التعاقب) .

(٢) مسلم بن الوليد ١٧٧ — ٨٠ .

(٣) فن الهجاء ١٣٥ — ٥٢ .

من الفصل بتفسير نفسي مهوش لهجاء الشاعر ، ولكنه – على هذا – لا يخلو من صدق التصوير وحسن التقويم في عرضه للنماذج المختلفة .

ويعد هذا الفصل – إلى جانب ما كتبه العقاد ومبارك والجواري – أحسن ما وقفنا عليه من هذه البحوث [1] ، لأنها خرجت عن مجرد التعريف والعرض إلى التفسير والنقد ، فأضافت بذلك جديداً يعين على تقويم القديم وفهمه وتذوقه ، وهو ما لم توفق إليه البحوث الأخرى .

الدكتور عبد الكريم الأشتر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) أغفلنا ما كتبه محمد جواد مغنية في كتابه : الشيعة والحاكمين ، لأنه تكرار لما توصف به الثانية ، في بعض مصادر الشيعة : الشيعة والحاكمون ١٧١ – ٢٠٢ .

نظرة في

معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا · ل · كليرفيل

نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط

ومحمد صلاح الدين الكواكبي

(لجنة المصطلحات الطبية في كلية الطب من جامعة دمشق)

استدراك وتعقيب

— ٣ —

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رقم المصطلح			رقم المصطلح
١٤٩٧	مُتَطَبِّل ، حَبِط	Ballonné, ée météorisé, ée	1497
١٤٩٨	تَطبُّل ، انتِبَاج ، انظر حَبَط	Ballonnement, gonblement V. météorisme	1498

وأرجح في ترجمة اللفظة الأولى منتفخ البطن وفي الثانية انتفاخ البطن وانتباجه [1]

١٥٠٧	رَبْط ، تَضْمِيد	Bandage, pansement	1507

---

(١) ليس في اللغة فعل تطبّل ونحن في غنى عن استعماله ما دامت لفظة انتفاخ تفيد المعنى نفسه وكذلك لفظة حبَط وحبِيط فهي الانتفاخ أيضاً . فقد جاء في اللسان : والحَبَط وجع يأخذ البعير في بطنه من كلأ يستوبله وقد حبط حبَطاً فهو حَبِط ... إلى أن قال : وحَبِطت الشاة بالكسر حبَطاً انتفخ بطنها عن أكل الذُّرَق .

وأقر مجمع اللغة ضمادة للفظة (Bandage) .

1527 Bandelette, ruban صبيبة ١٥٢٧

وأرجح شُرَيطة تصغير شَريط . أما صبيبة فهي خاصة بخُصلة الشعر [1] .

1529 Bandelettes du colon, Taenia coli صبائب القولون ١٥٢٩

وأرجح شُريطات القولون ، شريط القولون (وقد أهمله المجنة) .

1533 Barbe de plume, barbe de caoutchouc بُرائل الريشة ، بُرائل المَطّاط ١٥٣٣

وأرجح أن يقال خيوط الريشة ونواتئ المَطّاط . فقد جاء في معجم لاروس في شرح اللفظة الأولى الخيوط (Filaments) المفروشة في جوانب ريشة الطير ، وفي شرح اللفظة الثانية الخيوط التي تبدو في حافات بعض الأشياء بعد قطعها . ولا أرى لفظة بُرائل تدل على المعنى المطلوب [2] .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

1575 Bassin nain حَوْضة قَزَمة ١٥٧٥

وأرجح حوضة صغيرة أو حُويضة .

1584 Bassin transversalment rétreci par ankylose, bassin de Robert حَوضة ضيّقة عرضانياً بالجساء ، حوضة روبير ١٥٨٤

والأفضل حوضة ضيقة عرضانياً بالقَسَط [3] ، حوضة روبير .

1591 Bâton de pommade قَلَمٌ من مرهم ١٥٩١

(١) في اللسان : والسَّبِيب والسَّبِيبة الخُصْلة من الشعر .

(٢) في لسان العرب : البُرَائِل ما استدار من ريش الطائر حول عنقه وهو البُرْؤُلة ، وخص اللحياني به عُرْفَ الحُبارى فاذا نَفَشَه للقتال بَرْأَل ، وقيل هو الريش السَّبْط الطويل لا عرض له على عُنُق الديك فاذا نَفَشَه للقتال قيل قد ابْرَأل الديك وتبرأل والخ .

(٣) الصفحة ٢٧٠ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

وأرجح عُود مرهم ان لم يكن أنبوب مرهم أو قلم مرهم .

١٠٩٨ جِلدة مصنوعة من المرغة Bandruche 1598

وأفضل جُليدة مصران .

١٦١١ دَافعُ سُعال ، صدري Béchique 1611

١٦١٢ دَافعات السُعال ، صدريات Béchiques, pectoraux 1612

وأرجح مهدئ السعال في الأولى ومهدئات السُعال أو صدريات في الثانية .

١٦١٣ تأتأة ، لكَنٌ ، جَلجَة Bégayment bégaiement 1613

ودرجت على ترجمة اللفظة بالكن مخصصاً لفظة جَلجَة ترجمة لـ (Paraphasie)

وقد أهملها المعجم الأصلي .

١٦١٨ البَلادون ، الحسناء (ثَمَرُ) اللُّفاح Belladone (fruit de la) 1618

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأقر مجمع اللغة ست الحسن .

١٦٥٥ صفراء ، مِرَّة Bile, fiel 1655

وأقر مجمع اللغة المرّة معرفاً إياها بسائل يفرزه الكبد . وخصص لفظة الصفراء للمزاج الصفراوي أو الخلط الصفراوي (Biliary humour) .

١٦٥٩ يافوتين Bilirubine 1659

والأفضل تعريبها بليروبين .

١٦٦٩ كُبْنَةٌ (بِسْكوت) Biscuit 1669

١٦٧٠ كُبْنَة السكريين Biscuit pour diabétique 1670

١٦٧١ خُشكنان (بُقْساط) Biscuit sec 1671

والأفضل استعمال هذه اللفظات معرّبة بسكوت . أما كُبْنَةٌ فهي الخبزة كما جاء في لسان العرب . وليس المقصود من هذه اللفظات الخبز بل نوع من

المعجنات الجافة شائعة الاستعمال . وعلى ذلك فقد جاء في ترجمة اللفظة إلى الألمانية في المعجم الأصلي الخبز السكري [1] وأصبح الترجمة لهذه اللفظات الثلاث : بسكوت وبسكوت السكربين وبسكوت جاف .

١٦٨٠ مِبْضَع ، مِشْوَط — 1680 Bistouri

وأقر مجمع اللغة مِبْزَغ .

١٦٨٣ قار ، قِير ، زفت — 1683 Bitume

وجاءت ترجمة هذه اللفظة في معجم الألفاظ الزراعية : حُمَر ، كُفُر ، قُفْر ، قفر اليهود وزفت البحر .

١٦٨٦ ذو مُحيِّين — 1686 Bivitellin, ine

والصحيح ذو مُحَّين أو ذو البيضتين [2] إذا لم نقل ثنائي الوتيللوس تعريبًا وكذلك ذات مُحَّين أو بيضتين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٦٨٦ غَرابة ، انظر غرابة المزاج — 1686 Bizarreries, v. humeur capricieuse

والأرجح غَرابة ، انظر غرابة الأطوار .

١٦٩٢ أَدَمَة جِذْعية — 1692 Blastoderme

١٦٩٣ قُسَيمة جِذْعية — 1693 Blastomère

١٦٩٤ مُفْسِد الجذعة — 1694 Blastophtorie

١٦٩٥ جُذَيمة ، حُوَيصِل جِذْعي — 1695 Blastula, Vésicule blastodermique

وأقر مجمع اللغة ترجمة Blast بجرثومة ، وتصبح ترجمة هذه الألفاظ

---

(١) (Zuckerbrot)

(٢) كذا جاءت في الترجمة الألمانية (Zwei-eig) .

أدَمة الجرثومة أو غشاؤها ، قسيجة جرثومية ، أذى الجرثومة ، جريثمة ، حويصل جرثومي . وعندي إن تعريب هذه الألفاظ أفضل بأن يقال بلاستودرما ، بلاستومير ، أذى البلاستا وبلاستولا لحويصل بلاستولي .

١٦٩٨ حُرْقة البول (تعقيبة) سيلان بُنّي — Blennorragie, gonorrhée blennorrhée Chaudpisse 1698

١٦٩٩ متعلق بحرقة البول — Blennorragique 1699

وأقر مجمع اللغة السيلان وتصبح اللفظة الثانية سيلاني .

١٧٠٧ زُرْقة المثيلين — Bleu de méthylène 1707

١٧٠٩ زُرْقُم ، أزرق قاتم ، زرقة قاتمة — Bleu sombre 1709

وأرجح أزرق المثيلين في اللفظة الأولى ، وزرقة قاتمة في الثانية .

١٧٣٢ حدَّبَ ، قبَّبَ ، سنّم — Bomber, saillir 1732

وأرجح برَزَ ، نتأ .

١٧٣٧ حافة عظامي الفكين النُخْرُوبية — Bord alvéolaire des (os maxillaires) 1737

حافة عظمي الفكين السنخية كما أقرها مجمع اللغة [1] .

١٧٤٥ أعور — Borgne 1745

وأقر مجمع اللغة أصم [2] .

١٧٥٠ حدبة دَمَوية ، ورم دَمَوي — Bosse sanguine, hématome 1750

وأقر مجمع اللغة الدَمَة .

---

(١) الصفحة ٦٥٠ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) ترجمة للفظة (Blind) الصفحة ٤١٠ من الجزء الرابع عشر من مجلة المجمع .

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

١٧٥٦ إسمام بالبَخَص، انسمام نصيدي Botulisme, allantiasis 1756

وأقر مجمع اللغة اليتولية تعريباً وسبق لي أن استعملت الانسمام الوشيقي [1]

١٧٧١ سِدادة مُحَيْبِيَّة Bouchon vitellin 1771

وأرجح سِدادة مُحِيَّة [2] .

١٧٧٧ طينٌ، معدني Boue, minérale 1777

وأقر مجمع اللغة وَحْلٌ معدني .

١٨٠٧ مِغلاة ، مِحَمَّة Bouillotte 1807

وأرجح قِرْبة ماء حار . وهي كيس من المطاط يملأ ماءاً حاراً .

١٨١١ سُعار ، ضَوْر Boulimie 1811

وأقر مجمع اللغة أخيراً الضور [3] .

١٨١٤ دَوِيّ ، طنين Bourdonnement 1814

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٨١٥ دَوِيّ الأذن ، Bourdonnemenet d'oreilles 1815

طنين الأذن tintement de l'oreille

وأفضل طنين في الأولى وطنين الأذنين في الثانية مخصصاً لفظة دَوِيّ ترجمة لـ (Clangor) .

١٨٣١ جُراب ذنبي أو جُراب المزاوجة Bourse caudale ou copulatrice 1831

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Bourse) بجزدان ولا شك أن جراب أفضل .

---

(١) الصفحة ٦٢٨ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٢٤٩ من هذا العدد .

(٣) سبقت ملاحظتي عن هذه اللفظة في الصفحة ٦٣٠ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

١٨٥١ قِصَر الأصابع — Bradydactylie 1851

وأقر مجمع اللغة الكَزَم .

١٨٥٣ غَلاصِم — Branchies, ouïes 1853

وأقر مجمع اللغة خَياشيم (مفردها خيشوم) وعرفها بأنها أعضاء التنفس في كثير من الحيوانات المائية كالأسماك .

١٨٦٦ صِنَّة ، عَرَق مُصِنّ — Brom(h)idrose, Osmidrose 1866

والأفضل سَهَك (١) .

١٨٧٢ بُروم النُّشادر — Bromure d'ammonium 1872

وأرجع بروم الأمونيوم تاركاً النشادر ترجمة لـ (Ammoniac) .

١٨٧٥ قَصَبة — Bronche 1875

وأقر مجمع اللغة شُعبة هوائية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٨٨٢ توسع القصبات ، تمدد القَصَبات — Bronchectasie, bronchiectasie, dilatation des bronches 1882

وأقر مجمع اللغة توسع الشُّعَب .

١٨٨٣ قصيبات — Bronchiole 1883

وأقر مجمع اللغة شُعيبة هوائية .

١٨٨٥ التهاب القصبات — Bronchite 1885

وأقر مجمع اللغة التهاب شُعبي .

---

(١) في اللسان : السَّهَك ريح كريهة تجدها من الانسان إذا عَرِق تقول إنه لسَهِك الريح وقد سَهِك سَهَكاً فهو سَهِك .
وأما الصنة فليست خاصة بالعَرَق فقد جاء في اللسان : والصِّنان ذَفَر الإبط وأصن الرجل صار له صنان .

١٨٨٧ التهاب قصبات والرئة — 1887 Bronchopneumonie

وأقر مجمع اللغة التهاب شعبي رئوي .

١٩١٧ دُبَيْلة — 1917 Bubon

وأقر مجمع اللغة دبل .

١٩١٩ فَوَهي — 1919 Buccal

وأقر مجمع اللغة شدقي .

١٩٣١ التهاب الأكياس الآحينية — 1931 Bursite

وأقر مجمع اللغة التهاب الجُزْدان ولا شك أن الكيس الآحيني أو الجراب افضل .

C

١٩٥٠ كفافات ، رُكُن الحَباب (أشعة) — 1950 Cadres - Supports d'ampoules (rd.)

وأرجح إطار حامل الأمبولة أو المصباح (أشعة) (١) .

١٩٥٠ مُتَصرِم ، مُتَصرِمة ، ساقط (زائل) وعَبَل (في أوراق الشجر) (٢) — 1950 Caduc, Caduque

١٩٦٤ مُتكلِّف الزُهد ، مُتَلَهْوِق — 1964 Cagot

والصحيح كَرَتيْن (٣) جبال البرانس (٤) كما جاء في ترجمة اللفظة الانكليزية في المعجم الأصلي ولا صلة بها بتكلف الزهد ولا التقشف .

---

(١) الصفحة ٦٥٣ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة ،

(٢) معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي .

(٣) الصفحة ٢٨٦ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٤) (Cretin of the Pyrenees) وجاء في الترجمة الألمانية (Kretin der Pyrenzen) .

١٩٧٧ داء كلسي ، استكلاس — 1977 Calcinose

وأرجع الكِلْسية (أي الحالة الكلسية) قياساً على ما يشابها من الألفاظ .

٢٠٠٥ هَذَيان هائج — 2005 Calenture

وحمى شديدة كما جاء في ترجمة اللفظة الألمانية (Hitziges Fieber)
وجاء في معجم بلاكستون (Blnkiston's) أنها لفظة تستعمل في جزر الفيليبين للدلالة على حمى وافدة تصيب الخيل والعامل فيها المثقبيات (Trypanosome) .

٢٠٠٦ عيار الحيِّز ، قياس السَّعة — 2006 Calibrage, jaugeage

وأرجع معايرة ومقايسة .

٢٠٢٣ قَلَنْسوة غشائية، غشاء العضلات حول الجُمجُمة — 2023 Calotte aponévrotique aponévrose épicranienne

والأفضل قلنسوة صفاقية (١) ، صفاق ما حول الجمجمة وتخصيص لفظة غشاء ترجمة لِ (Membrane) شأن ما فعلته اللجنة (اللفظة ٨٣٨٣) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢٠٢٦ تقليد ، نَقل صورة ، نَسْخ — 2026 Calque

والأفضل تَرَسُّم وتَوْسيم ومُرَسَّمة كما جاء في المعجم العسكري .

٢٠٢٨ قميص جَبْري — 2028 Camisole de force

وأرجع قميص التقييد . وهو ما يُلبس للمريض الهائج بغية تقييد حركته .

٢٠٣٦ قناة نُخروبية — 2036 Canal alvéolaire

والأرجح قناة سنخية (٢) .

٢٠٤٤ قناة مرارية — 2044 Canal cystique

وأقر مجمع اللغة المَسال المراري والمَسيل المراري .

---

(١) الصفحة ٤٧٥ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٦٥٠ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

٢٠٤٩ مَحْمَل الزوجة (طنبليات) 2049 Canal gynécophore (parasit.)

والأفضل القناة الأنثوية .

٢٠٧٧ مَرَطان و سرطان غدي 2077 Cancer, carcinome

سرطان ، كرسينومة كما أقرها مجمع اللغة .

٢٠٨٠ مَرَطان نظير الدماغ، شبه دماغي 2080 Cancer encephaloïde

سرطان نظير الدماغ فقط .

٢٠٩٢ نخاريب 2092 Cannelure

والصحيح فرضة ، تفريض [1] كما جاء في المعجم العسكري .

٢١١٤ جُنَيْنة (مُخْتَبر) 2114 Capsule (lab.)

وأقر مجمع اللغة كبسولة تعريباً .

٢١٢٦ كُظْر، غدد فوق كلوية 2114 Capsules surrénales glandes surrénales

وأرجح عندنا فوق الكلوتين والكُظران .

٢١٧٢ لُحَيْمة ، رَعْثة 2172 Caroncule

وأقر مجمع اللغة لُحَيْمة .

٢١٧٦ كاروتان ، كاروتين ، جَزَرين طليعة الحُيَيْن آ 2176 Carotène, carotine, provi- -tamine A

٢١٧٧ تَجَزْرُنُ الدم 2177 Caroténémie, carotinémie

وأرجح التعريب في هذه الألفاظ فأقول كاروتان و كاروتين وطليعة الفيتامين A في الأولى و كاروتينيميا في الثانية .

(١) في اللسان : والفُرْضة كالفَرْض والفَرْض، والفُرْضة الحزّ الذي في القوس وفرضة القوس الحز الذي يقع عليه الوتر . اقول المقصود من هذه اللفظة الحز أو الشق الذي يحدثه المنشار وغيره ، ولم اعتد إلى معنى نخاريب .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢١٨١ عَبَث يَدَوي ، نتف Carphologie, crocidisme 2181

عبث يَدَوي في اللفظة الأولى وتمزيق الدثار في الثانية [1] وليس للفظة نتف أن تدل على المعنى المقصود .

٢١٨٥ تَصَلّب البَطْن ، سل العُقَد المساريقية Carreau, tuberculose des ganglions mésentériques 2185

وأرجح قساوة البطن أو يبوسته ، تدرن العقد المساريقية ، مخصصاً لفظة تصلب ترجمة لـ (Sclérose) . وما يحدث في هذه العلة هو قساوة البطن .

٢٢٠٣ مُصاب (مريض) حادث Cas (malade) 2203

وأرجح حادث فقط .

٢٢٠٣ حالة ميئوس منها Cas désespéré 2109

وأفضل حادثٌ حَرِض أو مُحْرَض [2] .

٢٢٠٤ حد أقصى Cas limite 2204

وأرجح حادث في الحد [3] تاركاً حد أقصى ترجمة لـ (Maxima) .

٢٢٠٥ مُصاب مُعَدٌ للحَجْر ، حادثة تستحق الحَجْر Cas sujet à l'inter -nement 2205

وأرجح حادثٌ أو حالة حرَجي أو حَرَجية بالايواء . والمقصود إيواء العليل

(١) قد جاء في الترجمة الانكليزية للفظة الثانية في المعجم الأصلي (Picking at bed clothes) .

(٢) في فقه اللغة للثعالبي : عليل حَرِضٌ ومُحرَضٌ وهو الذي لا حيٌّ فيرجى ولا ميت فينسى . وفي لسان العرب : وحَرَّضه المرض وأحرضه إذا اشفى منه على شرف الموت ، والمُحْرَض الهالك مرضاً الذي لا حي فيرجى ولا ميت فيؤيس منه .

(٣) في اللسان : وحَدُّ كل شيء منتهاه ، لأنه يرده ويمنعه من التمادي .

المصاب باحدى العاهات النفسية في المأوى أو دار العجزة وما إليها تاركاً الحَجْر إلى منع المصاب عن التصرف بأمواله وحقوقه المدنيـة وإقامة وصي عليه وهو ما يقابل لفظة (Interdiction légale) وقد أقرها مجمع اللغة .

2218 Catalepsie, Rigidité catale-psique آخذة ، تصلب آخذي ٢٢١٨

وأقر مجمع اللغة الجُمْدة .

2219 Catalyse وساطة ٢٢١٩

2220 Catalyseur وسيط ٢٢٢٠

وأقر مجمع اللغة حفاز وعامل حفاز في ترجمة اللفظتين وقد عرفها بأنها كل مادة تزيد عادة في سرعة التفاعل دون أن تتأثر هي بهذا التفاعل .

2220 Cataphorèse إدخال العلاجات بالتيارات المتواصلة ٢٢٢٠

وأقر مجمع اللغة الكثفرة تعريباً ويقابلها الأنقرة (١) .

2221 Cataplasme كمادة ٢٢٢١

لصوق (لبخة) في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي .

2223 Cataracte ساد ٢٢٢٣

وأقر مجمع اللغة السد ، ولعلّ الساد أفضل .

2285 Cavité naso-pharyngienne cavum, nasopharynx, épipharynx, pharynx nasal, rhinopharynx تجوف أنفي بلعومي ، كهف بلعوم أنفي فو ـ بلعوم أنفي خيشوم ٢٢٨٥

---

(١) الصفحة ٦٥١ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

وأفضل أن تكون ترجمة هذه الألفاظ : جوف أنفي بلعومي ، كهف ، بلعوم أنفي ، ما فوق البلعوم ، بلعوم منخري وحلقوم فقد سبق استعمال خيشوم من قبل مجمع اللغة ترجمة لـ (Branche) [1] .

٢٢٨٦ جوف غشاء الجنب — 2286 Cavité pleurale

تجويف الجَنَبَة كما أقرها مجمع اللغة .

٢٢٩٦ خلية معد الكريات المُشَطَّرَجة — 2296 Cellule quadrillée d'un hématomètre

وأرجح خلية مقياس الكريات المُربَّعة .

٢٣٠٥ خلايا إبانية ، كُرَيضات كثيرة النوى قاعدية (ماستسِلين) — 2305 Cellules engrais, labrocytes, leucocytes polynucléaires basophiles (Mastzellen)

ودرجت على ترجمة لفظة (Mastzellen) بالخلايا البدينة أو السمينة وكذلك تدل لفظة (Engrais) . وأقول الخلايا الصاخبة في ترجمة (Labrocytes) الحرفية (وقد أهملتها اللجنة) ثم الكريات البيض الكثيرة النوى المُستَقعِدات (كما أقر مجمع اللغة ترجمة لفظة basophiles معرفاً إياها بكريات بيض تألف الأصباغ القاعدية) .

٢٣١١ خلايا مُنتشِة — 2311 Cellules germinales

(١) خلايا منوية — (1)Gonocytes

والصحيح خلايا التبذير لأن هذه الخلايا ليست خاصة بالانطاف .

٢٣١٦ خلايا غير مُمَيَّزة مُضْغية أصلية خلايا ذراري — 2316 Cellules indifférenciées embrionnaires, cellules-souches

(١) الصفحة ٢٠٢ من هذا العدد .

وأرجح في ترجمة هذه الألفاظ : خلايا لا مُمَيَّزة جنينية (كما أقرها مجمع اللغة) بَدْئِيّة وخلايا أرومة . إذ المقصود منها الخلايا البدئية التي تتوالد منها الخلايا الأخرى فهي إذن أرومتها لا ذراريها .

2321 Cellules migratrices — ٢٣٢١ خلايا مُهاجرة

وأقر مجمع اللغة خلايا جَوّالة .

2325 Cellules nœviques, — ٢٣٢٥ خلايا وَحْمية

والصحيح خلايا شاميّة نسبة إلى شامة كما أقرها مجمع اللغة ولا صلة لها بالوَحْم .

2326 Arborisation terminale (du cylindre - axe) — ٢٣٢٦ (٦) تَشَجُّر انتهائي (للمحور العصبي)

والأرجح الغصون الانتهائية (للمحور العصبي) [1] .

2343 Cellulite — ٢٣٤٣ نُساج ، التهاب النسيج الخلالي

وأقر مجمع اللغة التهاب هَلَلي معرفاً إياه بأنه التهاب يصيب الأنسجة الهَلَلية أو الليفية .

2344 Cellulose — ٢٣٤٤ خَلْيوز ، سلولوز

وأقر مجمع اللغة سليلوز .

2347 Cénesthésie, sensibilité interne commune, sensation générales — ٢٣٤٧ حِسّ مُشترك ، حس باطن عام حسيات عامة

وأرجح إحساس شامل ، حس باطن عام وإحساسات عامة .

2365 Centre de triage et d'évacuation — ٢٣٦٥ مَرْكز التَّخَبّ والتخلية

(١) الصفحة ٧٣ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

وأرجع مركز التصنيف والاخلاء السبيل أو التسريح . ويقصد الموضع الذي يتم فيه تفريق الجرحى في الحروب أو في الحوادث وإخلاء سبيل من لا تستدعي حالته البقاء .

٢٣٧٤ صُداع عَضَلي نُساجي — Céphalée musculaire cellulitique — 2374

صُداع عضلي هَلَلي كما أقره مجمع اللغة .

٢٣٧٧ الأكحل (وريد رأسي) — Céphalique — 2377

وأقر مجمع اللغة القيفال وهي اللفظة التي استعملها الأطباء العرب معربة ، وعرّفها المجمع بالوريد في الجانب الوحشي من العضد .

٢٣٨٦ تَطويق (عظم مكسور) — Cerclage (d'un os fracturé) — 2386

وأقر مجمع اللغة تحويط .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢٣٩٢ مَقدونس إفرنجي — Cerfeuil — 2392

مَرْفيل ، مقدونس إفرنجي في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي . وقد ذكر أن الأولى معرّبة شاعت والثانية مترجمة .

٢٣٩٧ صِملاخ ، آف — Cerumen — 2397

الصِملاخ – الصُلاخ كما أقره المجمع اللغوي .

٢٤٠١ مُخَيخ — Cervelet — 2401

المُخ – المُخيخ كما أقره مجمع اللغة .

٢٤٠٧ مُخَلْوِن — Cétogènes — 2407

٢٤٠٨ خلالين ، آلكانون — Cétones, alcanones — 2408

٢٤٠٩ خلونوز(أجسام خلونية) — Cétoses (corps cétoniques) — 2409

وأرجع التعريب في هذه الألفاظ بـ كتوجن (اومولد الكتون) ، كتونات ، آلكانونات ، كتوزات (أجسام كتونية) .

2411 Chagriné, ée محبَّب ٢٤١١

وأرجع خَشِن وخَشِنة [1] تاركاً لفظة محبَّب ترجمة لـ (Granuleux) .

2419 Chalage سُرّة داخلية ، خُيوط البيضة ٢٤١٩

وأرجع خيوط الآح (حول المحّ) .

2420 Chalazion بَرَدَة ٢٤٢٠

وأقر مجمع اللغة البرَد وأرجح الظَّبْظاب [2] أو الورم الظِفْري . وللفظة بَرَدَة معنى معروف [3] . ويقصد من هذه اللفظة ورم صغيرة ملتصق على الجفن .

2427 Chalicose, caillouts, mal de St- Roks, phtisie des tailleurs de pierre, Silicose pulmonaire تَصَوُّن الرِئة داء الرئة الصوافي داء القديس روكس ، سل النحاتين ٢٤٢٧

وأقر مجمع اللغة السُّحار [4] الرِخامي .

---

(١) في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي : (Shagreened, rough) .

(٢) في اللسان : الظبظاب البَثْرة في جفن العين .

(٣) في اللسان : البَرَدة التخمة وفي حديث ابن مسعود كل داء أصله البَرَدة وكله من البَرْد . البَرَدة بالتحريك التخمة وثقل الطعام على المعدة .
وفي الوجيز في أمراض العين للأستاذ الدكتور ممدوح الصباغ ، وقد استعمل البَرَدة في ترجمة (Chalazion) انها سميت البرَدَة لأن علماء العرب قديماً ظنوها ماء يتجمد في الأجفان ومنه شبه بالبرَدَ كما جاء في تذكرة الكحالين لعلي بن عيسى . أقول لا أرى هذه اللفظة تصلح في المعنى المقصود طالما استعملت للدلالة على علة أخرى .

(٤) في اللسان : السَّحر الرئة والجمع أسحار وسُحُر وسحور .

٢٤٣٣ حُجرة التشرد — 2433 Chambre d'ionisation

حجرة التأين كما أقرها مجمع اللغة تعريباً .

٢٤٣٧ ساحة قشرية — 2437 Champ cortical

٢٤٣٨ ساحة كهرباوية — 2438 Champ électrique

٢٤٣٨ ساحة مغناطيسية — 2438 Champ magnétique

٢٤٣٩ ساحة البضع — 2439 Champ opératoire

٢٤٤٠ ساحة النظر — 2440 Champ de regard

٢٤٤١ ساحة بَصَرية — 2441 Champ visuel

٢٤٤٢ ساحة رؤية الألوان — 2442 Champ visuel pour les couleurs

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأقر مجمع اللغة ترجمة Champ بمجال . فتكون ترجمة هذه الألفاظ : مجال قشري ، مجال كهربائي ، مجال مغناطيسي ، مجال البضع أو الحوسط الجراحي ، مجال النظر ، مدى البصر ، مجال تمييز الألوان .

٢٤٥٠ قرحة بسيطة، لينة ، قُريحة — 2450 Chancre simple, mou

وأقر مجمع اللغة قرحة رخوة ترجمة لـ (Chancre mou) .

٢٤٦٧ جَمْرة عَرَض (بيطرة) — 2467 Charbon symptomatique

وأرجح الجمرة العَرَضية .

٢٤٧١ عَجَلة تحريض — 2471 Chariot d'induction

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Induction) بالتأثير ، فتصبح اللفظة عجلة التأثير .

٢٤٨١ كَسْتَنَة — 2481 Chataigne, marron

قسْطلة في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي .

٢٤٨٨ صَلَع ، جَلَه — 2488 Chauve

٢٤٨٨ أصْلَعُ ، أجْلَه — 2488 Chauve

وأرجح مَعَر وزَعَر في الأولى وأمعر [1] وأزعر في الثانية . وما يقصد بهذه اللفظة هو ذهاب شعر الرأس كلياً أو جزئياً . بينما الصَّلَعَ هو انحسار شعر مُقدَّم الرأس وكذلك الجَلَه . وسبق للجنة أن ترجمت لفظة (Calvitie) بصَلَع وجلح (اللفظة ٢٠٣٧) .

٢٤٩٥ إهلِيْلَج أصفر ، بَقْلة الخطاطيف ، عُروق صفر — 2495 Chélidoine

بَقْلة الخطاطيف ، عُروق الصباغين ، العُروق الصفر . في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي .

٢٤٩٧ مُسْتَقبِل التنبهات الكيمياوية المنشأ — 2497 Chémo - récepteur

الصحيح مستقبل الإثارة الكيميائية . لأن المقصود هنا الجانب من الخلية الذي باستطاعته ضبط المواد الكيميائيـة وكذلك تكـين الجراثيم (عن بلاكستون Blakiston's) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢٤٩٨ قَمَع ، وَرْدينَج — 2498 Chémosis

وأقر مجمع اللغة كيموزس تعريباً ووَرْدينج (عن ابن سينا) ويعنى بهذه اللفظة وذمة التهابية تحيط بالقرنية وليس للفظة قَمَع [2] هذه الدلالة .

---

(١) في المخصص : المَعَر ذهاب شعر الرأس وغيره مَعِر فهو أمعَرُ وهي مَعْراء . والزَّعَر قلة الشعر في الرأس أو أن يذهب أطوله وأحسنه وقد زَعِر زَعَراً فهو أزعر وزَعِير وهي زَعْراء وزَعِرة .
وفي اللسان : المَعر سقوط الشَّعر ومَعِر الشَعر والريش مَعَراً فهو مَعِرٌ ، وأمعرَ قلّ ومَعِرت الناحية مَعَراً وهي مَعْراء ذهب شعرها كله حتى لم يبق منه شيء وخص بعضهم به ناصية الفرس . والزَّعَر في شَعر الرأس وفي ريش الطائر قلة ورقة ومَعَرٌ .

(٢) في اللسان : والقَمَعة قَرْحة تكون في العين وقيل ورم يكون في موضع العين والقَمَع فساد في موق العين واحمرار ، والقَمَع كَمَدُ لون لحم الموق وورمه والقَمَع بَثْرٌ يخرج في أصول الأشفار ، والقَمَع قلـة النظر من العمش والغ .

٢٥٠١ أساريع حاكّة — 2501 Chenilles urticantes

وأقر مجمع اللغة يساريع (جمع يسروع) وأساريع محبحة [١] . أقول أساريع مُشْرِبة أي محدثة للشرى . بينما حاكّة ينبغي تخصيصها لـ (Prurigineuses) .

٢٥٠٢ طالبُ عِلْم ، بَحّاثة — 2502 Chercheur scientifique

وأرجح باحث عِلْمي .

٢٥٠٣ رَتْعة ، غذاء — 2503 Chère, nourriture

وأرجح طعام ، غذاء . ورتعة [٢] لا تفي بالمعنى . إذ المقصود كما جاء في معجم لاروس صفات المآكل .

٢٥٠٤ حِمارَة ، سِباج — 2504 Chevalet protège - point

وأرجح حافظة الإبر . إذ ما يعنى بهذه اللفظة العلبة التي تحوي إبر الحائن محافظة على نهايتها المؤنفة . ولم أهتد إلى معنى سباج إلا إذا كانت مصحّفة عن سيباي ، ولا تفي حِمارة [٣] بالمعنى المقصود .

---

(١) في اللسان : واليَسْروع واليُسْروع والأَسْروع والأُسْروع دودٌ يكون على الشوك والجمع الأساريع وقيل الأساريع دود حُمْرُ الرؤوس بيض الأجساد تكون في الرمل تشبّه بها أصابع النساء وقال الأزهري هي ديدان تظهر في الربيع مخطّطة بسواد وحمرة .

(٢) في اللسان : الرَّتْع الأكل والشرب رَغَداً في الرِّيف رَتَع يَرْتَع رَتْعاً ورُتوعاً ورِتاعاً والاسم الرَّتْعة والرَّتَعة . يقال خرجنا نَرْتَع ونَلْعب أي نَتَنَعَّم ونَلْهو .

(٣) في اللسان : الحمائرُ حجارة تنصب حول قُتْرة الصائد واحدها حِمارة ، والحمارة أيضاً الصخرة العظيمة والحمارة حجارة تنصب حول الحوض لئلا يسيل ماؤه وحول بيت الصائد أيضاً إلى أن قال : حِمارة من جريد هي ثلاثة أعواد يشد بعض أطرافها إلى بعض ويخالف بين أرجلها تعلّق بها الأداة لتبرّد الماء ويسمى بالفارسية سيباي .

٢٥٠٨ مِقْوَد ، زمام 2508 Chevêtre, chevestre

والصحيح ضمادة [1] الفك السفلي وجاء في الترجمة الانكليزية لهذه اللفظة في المعجم الأصلي (Jaw bandage) وفي معجم غارنيه (Garnier) [2] : ضمادة خاصة لمسك كسور الفك السفلي أو خلوعه . وكذلك في معجم لاروس القرن العشرين .

٢٥١٧ انجذاب كيماوي ، 2517 Chimiotaxie, Chimiotropisme
انحياز كيماوي Chimiotactisme

وأقر مجمع اللغة مجاوبة كيمياوية ، وسبق لي أن أبديت ملاحظتي على هذه اللفظة [3] .

٢٥٢٨ جراحة مُشَكِّلة ، جراحة 2528 Chirurgie plastique,
مُرَمِّمَة مُعَمِّرة réparatrice reconstructive

وأقر مجمع اللغة جراحة تقويمية .

٢٥٣٦ تكَوُّر الدم 2536 Chlorémie

وأرجح كلوريميا تعريباً .

٢٥٦٥ مفرغات الصفراء 2565 Cholagogues

مفرغات المرة كما أقرها مجمع اللغة .

٢٥٧٥ إفراغ الصفراء 2575 Cholerèse

٢٥٧٦ ما يتعلق بافراز الصفراء 2576 Cholérétique

---

(١) الصفحة ٢٤٦ من هذ العدد .

(٢) M. Garnier et V. X J. Delamare: Dictionnaire des Termes Techniques de Médecine

(٣) الصفحة ٨١ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

٢٥٧٧ مدرات الصفراء Cholérétiques 2577

إفراز المرة ، ما يتعلق بافراز المرة ، ومفرزات المرة (مدراتها) كما أقره مجمع اللغة .

٢٥٨٥ بيلة صفراوية Cholurie 2585

بيلة مرية أو كولوريا تعريباً .

٢٥٨٧ تحيات الميولى أو تخيطها ، Chondriomes, Cytomi-crosomes, bioblastes, جسيمات خلوية جذيعات حيوية mitochondries, chondriomites تحيبات الهيولى الخرزية 2587

لقد أقر مجمع اللغة ترجمة (Protoplasme) بجبلة ، لذلك تصبح ترجمة هذه الألفاظ : حبيات الجبلة ، جسيمات الخلية ، الجرثومة الحيوية ، الحبيبات الخيطية ، الخييطات الحبية .

٢٥٩٤ رقص كهرباوي ، ارتجاج عضلي Chorée électrique myoclonie 2594

كورية [1] كهربائية كما أقرها مجمع اللغة ، وارتجاج عضلي .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح

---

(١) الصفحة ٨٣ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

المعجم الوسيط

- ٢ -

أولاً : تعريف الوحدات الزمنية (١)

الكلمة	تعريفها في المعجم الوسيط	الملاحظات
الساعة	جزء من أربعة وعشرين جزءاً من الليل والنهار .	الدقة العلمية في التعريف توجب أن يقال : من (اليوم) بدلاً من (الليل والنهار) .
اليوم	زمن مقداره من طلوع الشمس الى غروبها .	هذا التعريف وإن ورد في معجمات اللغة الا أن التعريف العلمي الصحيح غيره . قال صاحب التاج : وشاع عند المنجمين أن اليوم من الطلوع إلى الطلوع أو من الغروب إلى الغروب ، وصحته : من منتصف الليل الى منتصف الليل (٢) .
الليلة	الليل ، وتقابل اليوم .	هذا التعريف غير دقيق لعدم الدقة في تعريف اليوم ، وكان من المستحسن

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) لن أذكر من أسماء هذه الوحدات ما ليس لي عليه ملاحظة .
(٢) انظر معجم متن اللغة لأحمد رضا مادة [يوم] .

		أن يقال : وتقابل النّهار ، أو : وتقابل اليوم في أحد معانيه (الذي أورده المعجم) أي: من غروب الشمس إلى طلوعها .
الصباح	أول النهار .	قال الجواليقي عن ثعلب : الصباح عند العرب من نصف الليل الأخير إلى الزوال ، ثم المساء من الزوال إلى آخر نصف الليل الأول ؛ هكذا جاء في المصباح المنير[1] ، وليت المعجم الوسيط أخذ به .
المساء	زمان وقته بعد الظهر إلى صلاة المغرب أو إلى نصف الليل .	
الأحد	أحد أيام الأسبوع .	
الاثنان	يوم من أيام الأسبوع .	إن التعريف بوحدات متماثلة يجب أن يكون متماثلا فيكون بتماثله أكثر دقة وأجل تعبيراً .
الثلاثاء	من أيام الأسبوع .	
الأربعاء	اليوم الرابع من الأسبوع بين الثلاثاء والخميس .	
الخميس	اليوم الخامس من أيام الأسبوع	
الجمعة	ما يلي الخميس من أيام الأسبوع .	إن (ما) وردت هنا خطأً وذلك للإبهام الذي تعطيه ، والأصح أن يستبدل بها (يوم) .
الشَّهْرُ	جزء من السنة القمرية ، يقدّر بدورة القمر حول الأرض	يستحسن الاكتفاء بالقول بأن الشهر : (جزء من إثني عشر جزءاً من السنة)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) انظر المرجع السابق ذكره .

ويسمّى الشهر القمري ، أو بقدر بجزء من اثني عشر جزءاً من السنة الشمسية ، ويسمّى الشهر الشمسي .

وذلك لتفادي عدم الدقة في المقابلة بين تقدير الشهر القمري والشهر الشمسي .

كما يستحسن إضافة بعض معاني الشهر الواردة في المعجمات القديمة ، كالعالِم والهلال ، والمعنى الحديث الشائع : مدة من الزمن تبدأ من أي يوم في الشهر إلى مثله في التاريخ من الشهر التالي .

وقد ورد مثل هذا المعنى في تعريف السنة .

السَّنَة مقدار قطع الشمس البروج الاثني عشر ، وهي السنة الشمسية . و — تمام اثنتي عشرة دورة للقمر ، وهي السنة القمرية . الخ ..

هذا التعريف قديم وغير دقيق في معجم حديث، فالشمس لا تقطع بروجاً ، والقمر أكثر من دورة ، فأرى أن يكون التعريف : الزمن الذي تدور فيه الأرض حول الشمس دورة كاملة ، وهي السنة الشمسية . و — تمام اثنتي عشرة دورة للقمر حول الأرض ، وهي السنة القمرية .

ويستحسن أن يشار في التعريف إلى عدد أيام كل من السنتين .

كما يستحسن الإشارة إلى كل من السنتين الهجرية والميلادية ، ولا سيما

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنهما لم تذكرا في مادة (أرخ) ولا في مادتي (هجر) و (ولد) .
كما أني أرى أن يُضاف إلى التعريفات الكثيرة الواردة في المعجم تعريف كل من : السنة المالية ، والسنة المدرسية ، والسنة الضوئية ، والسنة الكبيسة ، أو الاشارة إلى ورود تعريف كل منها في مادة ثانية ، وقد فعلت هذا أكثر المعاجم الأجنبية الحديثة .

الكبيسة	السنة الكبيسة « في التقويم الميلادي » هي الخ ..	الدقة العلمية في التعريف توجب أن يقال فيه : « في التقويم الشمسي » .
العام	ما يشتمل على الصيف والشتاء متوالين . (ج) أعوام .	أرى أن يستبدل بهذا التعريف تعريف أكثر دقة ، لأن العام فيه يمكن أن يكون تسعة أشهر ، وفي اللسان : العام الحَوْل يأتي على شتوة وصيفة . وفي القاموس ومختار الصحاح : العام السَّنَة . وإذا كان العام السنة ، فهو : ما يشتمل على الفصول الأربعة متوالية .
الربيع	أحد فصول السنة الأربعة بين الشتاء والصيف .	
الصيف	أحد فصول السنة الأربعة ،	

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

	ويمتد من أواخر يونيه إلى أواخر سبتمبر .	لا يمكن القول في هذه التعريفات الأربعة أكثر من أنها ترد في أربعة معجمات لا في معجم واحد .
الخريف	أحد فصول السنة وهو ثلاثة أشهر من آخر الصيف وأول الشتاء .	
الشتاء	أحد فصول السنة الأربعة ، يبتدئ جغرافياً في الثاني والعشرين من ديسمبر ، وينتهي في الحادي والعشرين من مارس .	ويلاحظ في تعريف الخريف وجوب إثبات (إلى) بدلاً من (الواو) فيقال : إلى أول الشتاء .
الفصل	أحد فصول السنة وهي : الربيع ، الصيف ، والخريف ، والشتاء .	كان من حق السنة في هذا التعريف أن تضاف إلى (الشمس) لأن الفصول لا تثبت إلا في السنة الشمسية (١) .
الكانون	كانون الأول : (ديسمبر) ، وكانون الآخر : (يناير) ، شهران في قلب الشتاء بين تشرين الثاني وشباط ولا شهر بينهما ، ويسميها العرب : شهري قُماح .	هذا تعريف لا غبار عليه ، إلا أن المتأخر من الشهرين يعرف اليوم بـ (كانون الثاني) . ويلاحظ ورود ذكر شهر (شباط) في هذا التعريف ، بينما أغفل المعجم ذكره في مادتي (شبط) و (شبأ) .
آذار	الشهر السادس من الشهور السريانية يقابله أبريل من الشهور	لم يذكر هذا التعريف في مادة (أذر) انما ذكر في مادة (اذذ) ، خلافاً

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) انظر مقال الأمير مصطفى الشهابي في مجلة المجمع العلمي العربي ج ١ من المجلد ٣٤ .

الرومية .

لترتيب كل من أقرب الموارد والمنجد ومتن اللغة ، وآذار اليوم : اسم للشهر الثالث من شهور السنة الشمسية في الأقطار العربية المشرقية ، أي أنه يقابل شهر (مارس) لا (ابريل) وهذا الاسم عرفه البابليون والعبريون ، وقد يكون العرب نقلوه عن السريانية (١) ، ولكن ليس في بلاد العرب اليوم سنة سريانية آذار شهرها السادس كما جاء في الوسيط (٢) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نيسان

الشهر السابع من شهور السنة السريانية ، ويقابل أبريل وهو الشهر الرابع من شهور السنة الأفرنجية ، وهو أيضاً اسم الشهر السابع من شهور السنة العبرية .

إن ما ورد من ملاحظات حول السنة السريانية في التعليق على تعريف شهر آذار يرد هنا ، وبعد فنيسان هو الشهر الرابع من شهور السنة الشمسية ، ويقابل (أبريل) في الأقطار العربية المغربية ، ويلاحظ أن المعجم أطلق وصفاً جديداً على السنة في هذا التعريف فقال :

---

(١) انظر الأمير مصطفى الشهابي في بحثه الذي سبق ذكره عن أسماء الشهور في العربية . وانظر رسالة البطريرك مار اغناطيوس أفرام الأول عن الألفاظ السريانية في المعاجم العربية ص ٢٠٨ دمشق ١٩٥١ ، والرسالة نشرت تباعاً في مجلة المجمع العلمي العربي ثم جمعت في كتاب .

(٢) انظر المناقشة التي جرت حول تقرير لجنة اللهجات عن أسماء الشهور في مؤتمر مجمع اللغة العربية في دورته السابعة والعشرين (سنة ١٩٦٠ – ١٩٦١) .

(أفرنجية) ! كما أنه حشر السنة (العبرية) في تعريف هذا الشهر دون غيره من الشهور ، ودون أن يكون لهذه السنة أي تعريف فيه .

أيار	(ويخفف) : الثامن من الشهور السريانية ، يوافقه (مايو) من الشهور الرومية .	أيار : الشهر الخامس من شهور السنة الشمسية الميلادية ، ولعل الإشارة إلى أن (التخفيف) لغة فيه غير ضرورية ؛ وفي القاموس : الأيار بالتشديد شهر قبل حزيران .
حزيران	الشهر التاسع من الشهور السريانية ، ويقابله شهر (يونيه) من الشهور الرومية .	حزيران : الشهر السادس من شهور السنة الشمسية الميلادية [1] .
آب	الشهر الحادي عشر من الشهور السريانية ، يقابله (أغسطس) من الشهور الرومية .	آب : الشهر الثامن من شهور السنة الشمسية الميلادية .
أيلول	الشهر الثاني عشر من الشهور السريانية .	أيلول : الشهر التاسع من شهور السنة الشمسية الميلادية ويقابله شهر (سبتمبر) .
تشرين	اسم لشهرين من شهور السنة	لم يحدد التعريف موقع الشهرين من

(١) أغفل المعجم تعريف شهر (تموز) وهو الشهر السابع من شهور السنة الشمسية الميلادية ، ويقابله شهر (يوليه) وتموز من اسماء الشهور عند البابليين ، وهو اسم إلآه الحصاد عندهم . انظر رسالة البطريرك السابق ذكرها ص ٢٠٩ . والغريب أن المعجم أورد اسم تموز عند تعريفه (الباحور) و (الباحوراء) نقلاً عن القاموس واللسان وغيرهما من المعجمات .

السريانية ، تشرين الأول وهو (أكتوبر) وتشرين الثاني وهو (نوفمبر) ج . تشارين [1] .

السنة ، خلافاً لما فعل المعجم في بقية الأشهر .

مارسُ — الشهرُ الثالث مِن الشُّهور الرُّومية . (مع) .

سبتمبر — الشهر التاسع من السنة الرُّومية .

ديسمبر — كانونُ الأوّل (في شهور السُّريان) ، وهو الشهر الثاني عشر من السنة الروميّة . (د) .

هذه هي الأشهر الثلاثة التي وردت في المعجم الوسيط ، من أشهر السنة الشمسية الميلادية المستعملة في وادي النيل وما في غربه من البلاد العربية ، وجاءت تعريفاتها غير متماثلة ، فمارس من الشهور الرومية وهو معرب ، وديسمبر من السنة الرومية وهو دخيل ، أما سبتمبر فلم يشر المعجم إلى صفته .

ومما يلاحظ على هذه التعريفات أيضاً ، أن مارس ورد في مادة (مرس) لا في مادة (مار) ، وأن من حق سبتمبر أن يشار في تعريفه إلى أنه كان الشهر السابع في السنة الرومانية التي كانت تبدأ في مارس ، فاحتفظ باسمه رغم تبدل موقعه من السنة الشمسية ، وأن تعريف ديسمبر امتاز بذكر الشهر الذي يقابله ، إلا أن هذا الشهرُ جعل من شهور (السُّريان)

(١) في المنجد : ويستعملون كلمة تشارين للدلالة على فصل الخريف .

لا من الشهور السريانية ، كما درج المعجم على تسميتها .

أما بقية الأشهر التي لم يعرّفها المعجم ، فيلاحظ بالنسبة اليها أن (يناير) ورد ذكره في تعريف شهر كانون ، وأن (أبريل) ورد ذكره صحيحاً في تعريف شهر نيسان ، ومغلوطاً في تعريف شهر آذار ، كما أن (مايو) ورد ذكره في تعريف شهر أيار ، و (يونيه) ورد ذكره في تعريف حزيران ، و (أغسطس) ورد في تعريف آب ، و (أكتوبر) [1] ورد ذكره في تعريف شهر تشرين ، كما ورد فيه ذكر (نوفمبر) . بينما لم يرد ذكر (فبراير) و (يوليه) في تعريف الأشهر قط .

المُحرّم	أول الشهور العربية .
صفر	الشهر الثاني من السنة القمرية .
الربيع	من الشهور شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر .

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

(١) يلاحظ أن القلقشندي في صبح الأعشى ذكر شهور الروم وبدأها باكتوبر — انظر مقال الأمير مصطفى الشهابي الملمع إليه .

جُمادى	من الشهور العربية . وهما جماديان جمادى الأولى للشهر الخامس ، وجُمادى الآخرة للشهر السادس .	
رَجَب	أحد الشهور العربية ، بين جمادى الآخرة وشعبان ، وهو من الأشهر الحُرُم .	انظر كيف تتفاوت هذه التعريفات دقةً ، وكيف اختلف التعريف بين شهر وشهر ، فذكرت الشهور العربية تارةً ، وتارةً ذكرت السنة القمرية ، وأخرى ذكرت الشهور القمرية . وكان من المفيد أن تكون التعريفات دقيقة متماثلة .
شعبان	الشهر الثامن من السنة القمرية .	
رمضان	الشهر التاسع من الشهور العربية . (ج) رمضانات . ورماضين .	
ذو القِعْدة	الشهر الحادي عشر من الشهور القمرية ، سمي بذلك لأنهم كانوا يقعدون فيه عن الأسفار والغزو والميرة (ج) ذوات القعدة .	
ذو الحجة	آخر الشهور العربية ، وهو شهر الحج (ج) ذوات الحجة .	
الشهر الحرام	واحد الأشهر الأربعة التي كان العرب يحرمون فيها القتال ، وهي : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب .	ورد هذا التعريف في مادة (حرم) ، ولم يرد شيء منه في تعريف أي شهر سوى رجب .
النَّاجِر	كل شهر في صميم الحر ، اسم لشهر صفر في الجاهلية ، إذ كان	يلاحظ أن المعجم لم يذكر من شهور العرب في الجاهلية غير (ناجر) [1] وسبق

(١) جاء في لسان العرب : وشهرا ناجر وآجر أشد ما يكون من الحر — انظر حسن وفتي الجبي « تموج المنهاج المموج » القاهرة ١٩٢٧ ص ٨٨ وما بعدها .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا يجيء إلا في الحرّ ، وكن التوقيت شمسياً .

له أن أشار عند تعريف شهري (كانون) إلى شهري (قماح) ولكنه أغفلها في مادة (قمح)[١] .

توت	أول الشهور في السنة القبطية .
طوبة	خامس الشهور القبطية .
أمشير	الشهر السادس من الشهور القبطية .
برمهات	الشهر السابع من الشهور القبطية . وفيه يحمل . الربيع .
برمودة	الشهر الثامن من الشهور القبطية وهو من فصل الربيع (د) .
بشنس	الشهر التاسع من الشهور القبطية وهو من فصل الربيع
أبيب	الشهر الحادي عشر من السنة القبطية .

هذه هي الشهور القبطية التي عرّفها المعجم ، وقد جاءت التعريفات متفاوتة غير دقيقة ، وامتازت أشهر الربيع فيها بالإشارة إليها .

ويلاحظ أن المعجم أغفل كلا من (بابه) و (هاتور) و (كيهك) و (بؤونة) و (مسري) وهي بقية الشهور في السنة القبطية .

(يتبع) عدنان الخطيب

---

(١) جاء في لسان العرب : وشيبان وملحان شهرا قماح ، وهما أشدّ شهور الشتاء برداً وهما اللذان يقول من لا يعرفها : كانون وكانون ، قال الكميت :

إذا أمست الآفاق غبراً جنوبُها بشيبانَ أو ملحان واليوم أشهبُ

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتاب

وصف المطر والسحاب

وما نعتته العرب الرواد من البقاع

للإمام

أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي

٢٢٣ - ٣٢١ هـ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- ٢ -

٣ _ أخبرنا عبدُ الرحمن بنُ عبد الله ابنُ اخي الأصمعيّ عن عَمّه قال : سُئِل أعرابيٌّ عن مَطَرٍ فقال :

إِسْتَقَلَّ سَدٌّ مع انتشار الطَّفَلِ فَشَصَا(١) واحزألّ ،

(١) وفي الأصل : فشصا .

ثم اكفهرّت أرجاؤهُ ، واحمومَت أرحاؤهُ (١) ، وابذعرت فوارقُهُ ، وتضاحكت بوارقُهُ ، واستطار وادقُهُ ، وارتتقت جُوَبُهُ ، وارثعنّ هيدبُهُ ، وحشكت أخلافُهُ ، واستقلّت أردافُهُ ، وانتشرت أكنافُهُ ، فالرّعدُ مرتجسٌ ، والبرقُ مختلسٌ ، والماء منبجسٌ (٢) فأترع الغُدُرَ (٣) وأنبثَ الوُجرَ ، وخلطَ الأوعالَ بالآجالِ ، وقرنَ الصّيرانَ بالرِّئالِ ، فللأوديةِ هديرٌ ، وللشّراجِ خريرٌ ، وللتّلاعِ زفيرٌ ، وحطّ النّبعَ والعُتمَ من القُلَلِ الشُّمِّ إلى القيعانِ الصُّحْمِ ، فلم يبقَ في القُلَلِ إلا مُعصِمٌ مُجرنثمٌ ، أو داحضٌ مُجرجمٌ ، وذلك من قضاء ربِّ العالمين على عبادهِ المذنبين .

قال أبو بكر قولُهُ :

(إستقلّ) : ارتفعَ في الهواء ، و (السّدُّ) السّحابُ

---

(١) نسيها الناسخ (واحمومت أرحاؤه) في المتن ، وأثبتها في الشرح ، وجاءت في اليدنية .

(٢) وفي الهامش : قال الله تعالى : فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً أي نبعت .

(٣) وفي اليدنية : الغدْر ، بسكون الدال والصّواب بضمها جمع غدير مثل كثيب وكُثُب .

الذي يَسُدُّ الأُفُقَ ، و (الطَّفَلُ) اختلاطُ الظَّلام بعدَ غروبِ الشمسِ ، و (شَصَا) ارتفع يعني السَّحابَ ، و (اْحزَألَّ) أي انتَصبَ ، و (اكْفَهرَّ) تَرَاكَم وغَلُظَ ، و (أرْجاؤهُ) نواحيه ، الواحد رَجًا مقصور ، (احمومَت) اسودّت ، وهو سوادٌ تَخلِطه حُمرة ، (أرْحاؤُهُ) أوساطُه ، و (ابذَعرّتْ) تفرّقت ، و (الفوارقُ) الواحدة فارق ، وهيَ قِطَع من السّحاب تتفرّق عنه مثلَ فُرَقِ الإبلِ ، وهي النّوقُ إذا أرادتِ الولادةَ فارقَت الإبلَ وبَعُدت عنها حَيثُ لا تُرى فأَنتجت ؛ (تَضاحكت بَوارِقُهُ) شبّه لمعانَ البرقِ بالضَّحك ، و (اسْتطار) انتشَرَ ، و (الوَدْق) قطرٌ كبارٌ يَخرجُ من خَلَل السّحاب قبلَ احتفالِ المطَر ، (ارتَتَقت جُوَبُهُ) أي تلاءمتِ ، و (الجُوَبُ) الفُرَجُ ، الواحدة جُوبة ، و (والهَيْدبُ) : ما تدلّى من السّحاب في أعجازهِ فكأنّه كالهُدْب له ، و (حَشكَتْ أخلافُهُ) هذا مَثَلٌ ، (يقال) حَشَكَ [1] ضَرْعُ الناقةِ إذا امتلأ لبنًا ، والأخلافُ : الواحد خِلفٌ ، وهو الضَّرْعُ للناقة خاصّةً ، وأرْدافُهُ : مآخيرُهُ ، وأكنافُهُ : نَواحيهِ ؛ قولُهُ : (الرّعدَ

(١) في الميدنية : يقال حشك ضرع الناقة .

مُرْتَجِس) أيْ تَسمع له رِجسًا ، وهو الصوتُ بِهَدَّة شديدة ، و (مُنْبَجِسٌ) مُنْصَبٌ ؛ (والبَرق مُختلِس) كأنه يَختلِسُ الأبصارَ من شِدَّة لَمعانِه ، (فأترَعَ الغُدُرَ) أيْ مَلأها . و (الغُدُرُ) جمع غَدير ، و (أنبثَ الوُجُرَ) أيْ حَفرها وخَرَّبها ، و (الوُجُرُ) جمع وِجار ، وهو سَرَبُ الضَّبُعِ ، وللذِّئبِ والثَّعلَب ؛

وقوله : (خَلَطَ الأوْعالَ بالآجال) يُريد أنه حطَّ تلك الأوْعَالَ من رُؤوس الجبال فخلطَها بالآجال ، و (الآجالُ) واحدها إجلٌ ، وهي قُطعانُ الوَحش ، وأنه حطَّ تلك من رؤوس الجبال ، فجمعَ بينها وبينَ البَقرِ التي مَراتِعُها القِيعانُ لاحتمال السَّيل لها[1] ؛ وقوله : (قَرَنَ الصِّيرانَ بالرِّئال) ، والصِّيرانُ : جمع صُوار ، وهو القَطيع من بَقَر الوحش ، والرِّئالُ : واحدُها رَألٌ ، وهي فِراخُ النَّعام ؛ وإنما يُريدُ بهذا كُله أنَّ السيلَ غَرَّقَ هذهِ الوحوشَ فجمعَ بين السُّهليّ[2] والجبليّ ؛ وقوله : (للأوْدية هَدير) : أي تَهدِر كهدير الإبلِ لكثرةِ السَّيل ؛

---

(١) وفي الميدنية : فاحتَملها السَّيلُ .

(٢) أبو عمرو بن العلاء : يُنسبُ إلى الأرض السهلة سُهليّ بضم السين .

والشِّراج : الواحدُ شَرْجٌ ، وهي مَجاري الماء من الغِلَظِ [١] إلى بُطونِ الأَوْدِيةِ ،

و (التِّلاعُ) أفواهُ الاوْدِيةِ ، الواحدُ تَلْعَةٌ ، أيْ تَزْفِر بالماء لفَرْطِ امْتلائها ، و (النَّبْعُ والعُتْمُ) [٢] : ضَربان من الشَّجَر لا يَنبُتانِ إلاّ في الجبلِ [٣] ، يَقول : فَحَطَّ السَّيْلُ هذا الشَّجَر من رُؤوسِ الجبالِ إلى القِيعانِ ؛

وقَولُهُ (لم يَبْقَ إلاّ مُعْصِمُ) يُريدُ أنَّ الوُعولَ خافت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) الغِلَظ في الأصل ضد الرِّقة في الخَلْق والطَّبع والفعل والمنطق والعيش ونحو ذلك ، وأرض غَلِيظة غير سهلة ، وربما كني عن الغليظ من الأرض بالغِلَظ ، قال ابن سيده : فلا أدري أهو بمعنى الغليظ أم هو مصدر وُصِف به ؟ والغَلْظ : الغَلِيظ من الأرض رواه أبو حنيفة عن النضر ورُدَّ ذلك عليه ، قالوا : ولم يكن النضر ثقةً ، والغَلْظ عن كُراع الصَّلْب من الأرض من غير حجارة ، وهو تأكيد لقول أبي حنيفة .

(٢) وفي هامش الأصل : خ والعُتْمُ بسكون التاء : زيتون البَرّ ، وفي اللسان أيضاً بالتحريك قال أمية :

(تلكم طَروقتهُ والله يَرفعُها فيها العَذاة وفيها يَنبُتُ العَتَمُ)

(٣) أمّا النبع فتتخذُ منه للدونة ومتانته القسيّ والسهام ، وأما العُتْم بسكون التاء وضمها فهو ما يسمّى بالفرنسية Oleastre وبلسان العلم (Olea Oleaster) وهو نوع بَرّيّ من جنس الزيتون ينبت في جبل السكام شرقيّ الشام وثمرته تسمّى الزَّعْبَج (معجم الألفاظ الزراعية) .

الغَرَقَ واستَعْصَمَتْ بالصُّخورِ [1] ، فَنَجا ما استَعْصَمَ مِنها ، وتَجَرْجَمَ [2] ما لم يَعْتَصِمْ : أي صُرِعَ فاحتَمَلَهُ السَّيلُ ؛ و (المُجْرَنْثِمُ) المُتَقَبِّضُ .

٤ ـ أخبرَنا أبو حاتم وعبدُ الرّحمن عن الأصمعيِّ قال : [3]

---

(١) وفي الابدنية : فاعتصمت بالصخور فنجا ما اعتصم .

(٢) وقالوا : جَرْجَمَ البيتَ هَدَمَه أو قوّضه فتجرجَم ، والرجلَ صَرَعه فتجرجَم .

(٣) وجاء هذا الخبر الدُّريدي في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري (٢/٤) وقال فيه : ومن أبلغ ما جاء في ذلك (أي في صفة السحاب) ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم وعبد الرحمن عن الأصمعي قال : سألت أعرابياً من عامر ابن صعصعة عن مطر أصاب بلادهم . . . إلى آخر هذا الخبر مع اختلاف قليل في الألفاظ مثل (فاعترض الأمطر فأغشاها) وفي نسختنا : فاعتَنَّ في الأقطارِ فأشجاها ؛ ومثل (وبغش ثم تطاطط) وفي نسختنا : وبَغَشَ وطَشَّ ثم قطقط ؛ ومثل (ثم ركدَ فأجثَمَ) وفي نسختنا : فأثجمَ ؛ ومثل (ثم وَبَل فسَحّ) وعندنا : وَبَلَ فسَجَم ، وهو أقوى لموافقة السجع ؛ ومثل (لا يريد انقشاعاً) وعندنا : ما يوبل انقشاعاً ؛ وليس في القاموس ولا اللسان أوبل ، فلعلّ هنالك تصحيفا ؛

أما (أبو أحمد) الذي جاء في السند فهو خال أبي هلال العسكري ، وهو من تلاميذ ابن دريد ونفطويه ، وكان من علماء اللغة والنحو والأدب ، ولعل أبا الطيب اللغوي قد أخذ عنه في عسكر مكرم مع رفيقه أبي هلال العسكري ، وهو بلديّه وصفيّه .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

سَألتُ أعرابيًّا من بني عَامِر بن صَعْصَعَةَ عن مَطَرٍ صَابَ[١] بلادَهم، فقالَ: نَشأ عارِضاً فَطلعَ ناهِضاً، ثمَّ ابتَسَمَ وامِضاً، فأعْتَنَّ في الأقطارِ فأشجَاها، وامْتَدَّ في الآفاقِ فغطَّاها، ثمَّ ارتَجزَ فهَمْهَمَ، ثم دَوَّى فأظلَمَ، فأرَكَّ ودَثَّ وبَغَشَ وطَشَّ، ثم قَطْقَطَ فأفْرطَ، ثم دَيَّمَ فأغْمَطَ، ثمَّ رَكَدَ فأثجَمَ، ثمَّ وَبَلَ فسَجَمَ، وجادَ فأنعَمَ، فقمَسَ الرُّبى، وأفرطَ الزُّبى، سَبْعاً تِباعاً، ما يُريدُ انقِشاعاً، حتَّى إذا ارتَوتِ الحُزونُ، وتَضَحْضَحت المُتونُ، سَاقَهُ ربُّكَ إلى حَيثُ شاء، كماجَلَبَهُ من حَيثُ شاء.

قال أبو بَكر: قولُه (نَشأ عارِضاً) أي استقلَّ، و(العَارِضُ) سَحابٌ يَعْتَرِضُ في أُفقِ السماء؛ وقوله: (طَلَع) ارتَفعَ[٢]، و(الوامِضُ) البَرقُ، يُقال: وَمَضَ السَّحابُ وأوْمَضَ: إذا رأيتَ البرقَ في عُرضِهِ يَلمعُ لمَعَاناً خَفِيًّا كالتَّبسُّمِ؛

وقولُهُ: (فأشجَاها) أي مَلأها؛ وقوله (ارتَجزَ) يَعني ارتجازَ الرَّعدِ؛ و(هَمْهَمَ) وهو أنْ تَسمعَ للرَّعدِ هَمْهمةً

(١) وفي ديوان المعاني: أصابَ، و(صابَ) هنا عربيّ جيد.
(٢) وفي الأصل: فارتفع، وجاء في الليدنية: والوَمض البرق.

كهَمْهَمةِ الأسدِ ؛ وقوله (دَوّى) أي سمعتَ له دويًّا ؛ وقوله : (فأركّ) أي مَطَرَ رِكا ، و (الرِّكُّ) : مطرٌ ضعيفٌ ، وكذلكَ (الدَّثُّ) والجمعُ دِثاثٌ [١] ورِكاكٌ ؛ و (البَغْشُ) دونَ الطَّشّ ، و (القِطْقِطُ) قَطْرٌ مُتَتابعٌ أكثرُ من قَطرِ الطَّشِّ [١] ؛

وقوله : (دَيَّمَ [٢] الدِّيمَةَ) : (الدِّيمةُ) مَطَرٌ يَبقى أياماً لا يُقلِعُ ؛ وقولهُ (أغْمَطَ) أيْ دامَ [٣] ، و (رُكودُهُ) دَوامُــــه ثابتاً لا يَتحرّكُ ، وقولُهُ (أثْجَمَ) أيْ أقامَ [٤] ؛

---

(١) وقال المرزوقيّ في كتابه الأزمنة (٨٧/٢) : وأوّل أسماء المطر (القِطْقِط) وهو أصغر المطر و (الرذاذ) فوق القطقط ، يقال قطْقطَتِ السماء وأرذّت ، ومنه (الطّشّ) وهو فوق القطقط ، و (البَغْش) وهو فوق الطّشّ ، قلت : وكلها من صغير المطر ودقيق القطر .

(٢) أي أمْطَرَ دِيَةً ، وأصلها (دِوْمة) قلبت الواو ياءً بعد كسرة ، وهي من دام يدوم دواماً .

(٣) وفي ل (غمط) : وأغمطت السماء واغبطت : دام مطرها ، وسماء غَمْطَى وغَبْطى دائمة المطر ، ويقال : أغمطت عليه الحمّى كأغبطت ، والميم بدل من البــاء ، قلت : وهما شفويان من مخرج واحد ، يتعاقبان كثيراً .

(٤) الإثجام سرعة المطر ودوامه أياماً متوالية ، وفي الصحاح أثجمت السماء ثم انجمت .

(وَبَلَ) من الوَابِل ، والوابلُ : المَطَرُ للكبارِ القَطْرِ ، الشَّديد الوَقْعِ ؛ والسَّجْمُ : الصَّبُّ ؛ وقولهُ (أَنعَمَ) أيْ بَالَغَ فيهِ [١] ، ومنه قولهم : دَقًّا نِعِمًّا : أيْ مُبالِغًا ؛

وله : (قَمَسَ الرُّبَى) أي غَوَّصَها في الماء ، و (الرُّبَى) جمع رَابِيةٍ ؛ وقولهُ (أَفْرَطَ) أيْ مَلأَ ، و (الزُّبَى) جمع زُبْيَةٍ ، وهي الحُفرةُ [٢] تُحفَر للأسدِ والذئبِ أيضًا [٣] ، والزُّبْيَة لا تُحفَر إلاَّ في مَوضعٍ مُرتفعٍ ، فإذا بلغَ السَّيلُ إلى مَوضعِ الزُّبْيةِ فقد بلغ الغاية [٤] ؛ وقوله (ارْتَوتِ الحُزون) افتعلت من الرِّيِّ ، و (الحُزونُ) الغِلَظُ من الأَرضِ ، الواحدُ حَزْنٌ ؛

---

(١) الأزهريّ : ودَقَقتُ دواءً فأنعمتُ دقّه : أي بالغت وزدت ، قلت : ومن هنا جاء معنى الزيادة ، وقال ابن منظور في ل (نعم) : ودققته دقًّا نِعِمًّا : أيْ نعم الدقّ .

(٢) في المدنية : وهي حفيرة تحفر للأسد .

(٣) ويجعل فيها طُعم فيجيء الأسد أو الذئب حتى يقع فيها .

(٤) وكان جارفاً مُجحفاً وفي المثل : بلغ السيل الزُّبَى ، يُضرب لما جاوز الحدّ ،

وقولُه (تَضَحْضَحَتِ المُتونُ) : أيْ صارَ فوقَها ضَحْضَاحٌ من الماءِ ، وهو الماءُ يَجري على وَجهِ الأرض رَقيقاً ، و (المَتْنُ) : صَلابَةٌ من الأرضِ فيها ارتفاعٌ ، وهو دُونَ الحَزْنِ .

٥ ـــ أخبرنا عبدُ الرحمن عن عَمِّهِ قال : سُئِلَ رجلٌ من العَرَبِ عن مَطَرٍ كانَ بعدَ جَدْبٍ فقال : نَشأَ حَمَلاً سَداً[1] ، مُتقاذِفَ الأحضَانِ ، مُحْمَوْمِيَ الأرْكانِ . لَمّاعَ الأقرابِ ، مُكفهِرَّ الرَّبابِ ، تَحِنُّ رُعودُهُ حَنينَ الطِّرابِ ، وتُزَمجِرُ زَمْجَرةَ اللُّيوثِ الغِضَابِ ، لِبوارِقِهِ التِهابٌ ، ولِرَواعِدِهِ اضطرابٌ ، فجاحَفَتْ[2] صُدورُهُ الشِّعافَ ، ورَكِبَتْ أعجازُهُ القِفافَ ، ثُمَّ ألقَى أعباءَهُ ، وحَطَّ أثقالَهُ ، فتألَّقَ وأصْعَقَ ، وانْبَجَسَ

---

(١) التهذيب : السَّدُّ مصدر قولك سَدَدتُ الشيءَ سَدًّا ، وجاء السُّدُّ بالفتح والضمّ بمعنى الجبل والحاجز ، وحكى الزجاج وأبو عبيدة والأخفش : ما كان مَسدوداً خِلقةً فهو سُدٌّ ، وما كان من عمل الناس فهو سَدٌّ ، وعلى ذلك وُجِّهت قراءة من قرأ (حتى إذا بلغ بين السدّين) بالفتح والضمّ ؛ وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم ويعقوب بضم السين .

(٢) أصل الجَحْف القَشْر والجَرْف ، وسيل جُراف يَجرف كل شيء ، وجاحَفَ به : زاعَمه وداناه والجِحَاف بكسر الجيم مزاحمة الحرب مصدر جاحفه مجاحفة وجِحافا .

وانْبَعَقَ ، ثُمَّ أنْجَمَ فانْطَلَقَ ، فعادَتِ النِّهاءُ مُتْرَعَةً ، والغِيطانُ مُمْرِعَةً ، حَياً للبِلادِ ورِفْداً للعِبادِ [1] .

قال أبو بكر : (الحَمَلَ) السَّحابُ الكثيرُ الماءِ ، و (السَّدُّ) الَّذي قد سَدَّ الأُفُقَ ؛ (مُتقاذِفُ الأحْضانِ) يُريدُ النَّواحيَ [2] ؛ وقولُهُ : (مُحْمَوْمِي) [3] هو مُفْعَوْعِلٌ من الحُمَّةِ ، وهي سَوادٌ تَخلطُه حُمرةٌ يَسيرةٌ ، و (الأقرابُ) الخُصورُ ، الواحِدُ قُرْبٌ ، والقُرْبُ والإطْلُ والكَشْحُ والخَصْرُ واحِدٌ ؛

و (المكفهِرُّ) المُتَراكِبُ ، و (الرَّبابُ) سَحابٌ تَراه كأنه مُتَعَلِّقٌ بالسَّحابِ ، الواحدةُ رَبابَةٌ ؛ وقولُهُ (حَنينَ الطِّرابِ)

---

(١) وفي الميدنية : ورزقاً للعباد .

(٢) الأزهري : حِضْنا الجبل ناحيتاه ، والرجل جنباه ، ونواحي كل شيء أحضانه . و (التقاذف) أي السريع الانقذاف في جوانب الأرض ، وقالوا : فرس متقاذف : سريع العَدْو كأنه يقذف بنفسه أمام الخيل في عدْوه ، والناقة القَذوف : تَرمي بنفسها من مرعتها أمام الإبل .

(٣) مُحْمومي الأركان : قال ابن منظور : واحْمَوْمَى الشيء اسودّ كالليل والسحاب ، والمُحْمومي من السحاب : المتراكم الأسود ، قال في صفة السحاب ،

تألّقَ واحْمَوْمَى وخَيَّم بالرُّبى أحَمُّ الذُّرَى ذو هَيْدَبٍ مُتَراكبِ

أرادَ الإبلَ النوازعَ إلى أوطانِها ، فَهِيَ تَحِنُّ ، فَشَبَّهَ حَنينَ الرَّعدِ بحَنينِ الإبلِ إلى أوْطانِها .

وقولهُ (جاحَفَ) أيْ زاحَمَ ، و (الشّعافُ) رؤوسُ الجبالِ الواحدةُ شَعَفَةٌ [١] ، و (القِفافُ) [٢] (جمع قفّ وهو) الغِلَظُ من الأرض لا يَبلغُ أنْ يكونَ جبلاً : يُريدُ أنّ أعاليَ هذا السَّحاب مُطِلّةٌ [٣] على الجبالِ ، ومآخيرُهُ على القِفافِ دانيةٌ منَ الأرضِ ؛

(ألْقَى أعباءَهُ) أيْ أثقالَهُ ، يُريد الماء ، و (التّألُّقُ) شِدّةُ اللّمَعانِ ؛ و (الانبِجاسُ) الانْفجارُ بالماءِ ، و (الانبِعاقُ)

---

(١) وفي نسخة : شَعَفَ كما جاء في الهامش ، وكذا في الميدنية .

وفي الأصل تحت شَعَفَة كتب الناسخ كلمة (شعف) وكان ينبغي أن تكتب تحت (الشعاف) لأن الشَّعَفَ جمع شَعَفَة ، وهي من كلّ شيء أعلاه ، وشَعَفَة الجبل رأسُه ، وتجمع أيضاً على شِعَاف وشُعُوف .

(٢) وفي الميدنية : والقفاف جمع قفّ ، ويجمع على أقفاف عن سيبويه ، وهو جمع قِلّة ، قال ابن شميل : القُفّ جبل غير أنه ليس بطويل في السّماء فيه إشرافٌ على ما حوله وما أشرف منه على الأرض حجارة ، ويكون في القفّ رياض وقيعان ، قال أبو منصور الأزهري : وقِفافُ الصّمّان على هذه الصفة ، وهي من حُزُون نجد .

(٣) وفي الأصل (مُطِلٌ) ، وكذا في الميدنية ، وهي خبر (أعالي) فيقتضي تأنيثها وتأنيث (دانٍ من الأرض) كما فعلنا .

الضَّبُّ الكثيرُ في سَعة [1] ، وقولهُ (أنجَم) أي أقلَعَ وانقَشَعَ و (النِّهاء) جمعُ . نِهْيٍ ، وهو الغَديرُ الذي له نَاه يَنهاهُ أنْ يَفيضَ [2] ؛ و (الغِيطانُ) جمع غائط ، وهو البَطنُ الغامِضُ مِنَ الأرضِ المُطمئِنُّ ، (مُمْرِعَة) مُخصِبة .

بلغ الأوّلَ قراءةً عليَّ أيّده الله .

٦ ـ أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعي [3] قال : سمعت أعرابيًا من غَنِيٍّ يذكر مطراً أصابهم في غِبِّ جَدْبٍ فقال : تداركَ ربُّكَ خلقَه ، وقد كَلِبَت الأمحالُ [4] ، وتقاصرتِ

(١) الانبعاق : مصدر انبعَقَ المطرُ بالماء : إذا اندفَع مُنهمِراً : وتَبعَّقَ مثلُه ، وسيل بُعاقٌ وبِعاق : شديد الدَّفعة ، وأنشد ابن بَرّي : (تَبعَّقَ فيه الوابلُ المُتَهطِّلُ) .

(٢) وفي اللسان (نهى) : والنِّهيُ : الموضع الذي له حاجزٌ ينَهى الماء أن يَفيض منه ، وقيل : هو الغدير في لغة أهل نجد قال :

ظلّت بنِهْيِ البَرَدانِ تَغتسِلْ تَشربُ منه نَهَلاتٍ وتَعِلْ

(٣) وتَرى هذا الخبر في أمالي القالي (١ : ١٧٣) يَرويه أبو علي عن شيخه ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعيّ .

(٤) قوله (كَلِبَتْ) : اشتدّت و (الأمْحال) جمع مَحل وهو الجَدْب ، يقال : كَلِبَ على الشيء كَلَباً : حَرَصَ عليه حرصَ الكلب ، وفي حديث عليّ : كتب إلى ابن عبّاس حين أخذ من مال البَصرة : فلمّا رأيتَ الزمانَ على ابن عمّك قد كَلِب ، والعَدوّ قد حَرِب ؛

الآمالُ ، وعَكَف اليأسُ [١] ، وكظمت الأنفاسُ [٢] ، وأصبحَ الماشي مُصرِمًا [٣] ، والمُتْرَفُ مُعْدِما [٤] ، وجُفِيَتِ الحلائل ، وامتُهِنَتِ العقائل [٥] ، فأنشأ اللهُ سحاباً رُكاما كَنَهْوراً سجّاما [٦] ، بُروقُهُ مُتَأَلِّقَةٌ ، ورُعودُهُ مُتَقَعْقِعَةٌ [٧] ، فَسَحّ ساجِياً

---

(١) أي أقامَ في النفوس .

(٢) يقال : كَظَمَ الرجل غَيظَهُ إذا اجترعَهُ وردَّه وصبر عليه وفي التنزيل الجليل : « والكاظمين الغيظ » ، وقوله (وكظِمت الأنفاس) أيْ من الغيظ والألم .

(٣) وفي حاشية الكتاب : الماشي ذو الماشية الكثيرة ، أراد أنّه فَنِيَت ماشيته من الجدْب فلم تبقَ إلاّ صِرْمة : أي قطعة صغيرة من الإبلِ وهي ما بين العشرة والعشرين أو الثلاثين ، والمعنى : وأصبح الغنيّ فقيراً والمترف مُعدِماً ، فتكرِهت النساء وابتُذلت الكرائمُ منهنّ بالخدمة .

(٤) قوله (والمترف معدما) وفي أمالي القالي (١٧٣/١) وفي البدنية أيضاً : والمترب معدماً ، وكلا القولين صحيح ، فإنّ (أَتْرَبَ) بمعنى قل ماله وكثر ماله من الأضداد . وهي هنا بمعنى استغنى وكثر ماله فصار كالتّراب .

(٥) قوله (امتُهِنَت) أي ابتُذلت بالخدمة ، والعقائل كرائم النساء الواحدة عقيلة .

(٦) ومن أسماء السحاب (الكَنَهْور) كغَضَنْفَر وهو المتراكم ، و(السّجّام) الصبّاب ، و (متألقة) لامعة .

(٧) التقَعقع والقَعْقعة : صوت الرعد في شدّة ، واشتقاقه من صوته ، ومنه قعقعة السلاح وما أشبهه .

رَاكِداً[١] ثَلاثاً غيرَ ذي فُواقٍ[٢]، ثم أمرَ ربُّكَ الشَّمالَ فطَحَرتْ[٣] رُكَامَهُ[٤]، وفرَّقتْ جَهَامَهُ، فانْقَشعَ مَحْموداً، وقد أحيَا فأغنَى، وجادَ فأروَى، فالحمدُ للهِ الذي لا تُكَتُّ[٥] نِعَمُهُ، ولا تَنفَدُ قِسَمُهُ، ولا يَخيبُ سَائِلُهُ، ولا يَنزُرُ[٦] نائِلُهُ.

---

(١) قوله (فسحَّ ساجياً راكداً) أي صَبَّ ماءه بسكون وركود ودوام مدةَ ليالٍ ثلاثٍ، قال أبو علي القالي : أنشدني أبو بكر ابن دريد قال أنشدني عبد الرحمن عن عمه (الأصمعي) لدريد بن الصمّة :

وربّتَ غارةٍ أوْضَعتُ فيها كسَحِّ الماجريّ جريمَ تَمرِ

(٢) الفُواق بضم الفاء : أنْ يَصُبَّ صَبّةً ثم يسكن، ثم يصبَّ أخرى ثم يسكن، وهو من فُواق الناقة الذي هو ما بين الحَلبتين.

(٣) جاء في الهامش (طَحَرَ) دفعَ وأزال ؛

(٤) من أسماء السحاب وهو ما تراكم منه، والجَهامُ في نظام الغريب للرَبَعي : السحابُ الذي قد هَراقَ ماءه واحدتها جَهامة.

(٥) وجاء في الهامش على يسار (تكتّ) : تُكَتَّتْ تعدّ، وفي حاشية : يقال بَحْرٌ لا يغضغضُ ولا يُكتّ ولا يُفتج : أي لا يُنزف، قال أبو علي في أماليه (١٧٥/١) : وتُكتُ تُحصَى أنشدني أبو بكر ابن دريد :

إلاّ بجيشٍ لا يُكتُ عديدُهُ سُودِ الجلودِ من الحديد، غِضابِ

(٦) أي : ولا يقل، ومنه يقال : امرأة نَزور ونَزِرة إذا كانت قليلة الولد، وقد يستعمل في الطير كما قال كثير :

بُغاثُ الطيرِ أكثرُها فِراخاً وأمُّ الصَّقرِ مِقلاةٌ نَزورُ

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٧ ــ أخبرنا أبو حاتم (عن الاصمعيّ [١]) قال : كانَ شيخٌ من الأَعراب في خِبائهِ ، وابنةٌ له بالفِناء إذْ سَمِعَ رَعْداً فقالَ : ما تَرينَ يا بُنَيَّةُ ؟ قالتْ :

ــ أراها حَوّاء قَرْحاء كأنها أقرابُ أتانٍ قَمْراء [٢] ؛ ثم سَمِعَ راعِدةَ أُخرَى فقالَ : كيفَ تَرينَها ؟ قالتْ :

ــ أراها جَمّةَ التَّرْجاف ، مُتَساقِطَةَ الأكْناف ، تَتَألّقُ بالبَرْقِ الوِلافِ ، قال : هَلُمّي المِغْرَفَةَ وانْأَيْ نُؤْياً [٣] .

قال أبو بكر : (حَوّاء) سَوداء إلى الحُمْرة كلَوْن الفَرس الأَحْوَى ؛ (قَرْحاء) يُريد أنَّ البَرقَ في أعاليها فكأنها قَرْحاء

(١) ما بين القوسين من الميدنية .

(٢) وفي المخصص (٩/١٠٣) قيل لأعرابيّ : أيُّ السَّحاب أمطرُ ؟ فقال : إذا رأيتَها كأنها بطن أتانٍ قمراء فهي أمطر ما تكوُن .

(٣) وفي الأصل : إنْإِي نُؤَيا بكسر الهمزة ، وهو خطأ . لأنه ليس من رمَى يرمِي بل من سَعَى يسعَى ، وفي الميدنية : أنْأَى نُؤْيا ، وهو الصواب لأنه ، إن كان من الثلاثيّ (نَأَى يَنْأَى) فالتعبير الصحيح أن يقال : (إنْأيْ نُؤياً) ، وإنْ كان من الرباعيّ (أنْأَى يُنْئِي) فإنه يقال : (أنْئِي نُؤيا) ، و (النُّؤْيُ) : كلّ ما حَجَزَ الماء عن الخيمة أكانَ حفرةً أم تُرابا ، وفي اللسان : ونَأَيْتُ النُّؤي أنأى ، وأنْأَيته ، وأنأيتُ الخِباء عملتُ له نُؤيا ،

مثلُ الفَرسِ الأقرحِ [١] ، و (الأقرابُ) الخصورُ ، شبَّهها ببطنِ الأتانِ القَمْراء ، و (القُمرةُ) بَياضٌ كَدِرٌ ، (جَمّة) كثيرة ، و (التَّرجافُ) الاضطِرابُ ، و (الاكْناف) النَّواحي ، تَقول : قد اسْترْخَت نَواحيها لكثرة مائِها ؛ و (البَرقُ الوِلافُ) [٢] الَّذي يَبْرُقُ بَرقَتينِ مُتَواليتينِ ، وهو لا يَكاد يُخلِفُ . و (المِعْزقةُ) المِسحاةُ [٣] ، و (النُّؤيُ) تُرابٌ يُجْمعُ حولَ البَيتِ لِئَلاَّ يَدخُلَه المطرُ .

---

(١) وفي حاشية إلى جانب (الفرس الأقرح) الأقرح : الذي له نقطة بيضاء في موضع الغرة ، قلت وفي مبادىء اللغة للاسكافي : ومن شيات الوجه إذا كان في جبهته بياض كالدرهم أو أقل فهو أقرح ، فإن زاد عليه فهو أغر .

(٢) أي المتواصل قال رؤبة (ويومَ ركضِ الغارة الولافِ) قال ابن الأعرابي أراد بالولاف الائتلاف : قال أبو منصور : كان معناه في الأصل إلافاً فصيّر الهمزة واواً .

(٣) تعريف المعزقة بالمسحاة غير دقيق لأنها أداتان مختلفتان : أمّا (المِعْزقة) فمن عزقَ الأرضَ إذا شقّها لاخراج الأعشاب الضارة منها ، وفي اللسان (عزق) : « ويقال لتلك الأداة التي تشقّ بها الأرض مِعْزقة ومِعزق وهي كالقدوم وأكبر منها » ، وأمّا (المِسْحاة) فمن سحوت أو سحيت الطينَ عن وجه الأرض إذا جرفته ، فهي مجرفة كبيرة من حديد يستعملها ساحيان في بلاد الشام ، والمعزقة والمسحاة غير المرّ أيضاً ، وللأدوات الزراعية تعريفات دقيقة في كتب اللغة .

٨ ـ أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعيّ قال :

وقفَ أعرابيٌّ على أبي المكنون النحويّ وهو في حلقته ، فسألهُ فقال : مكانَكَ حتّى أفرُغَ لكَ ، فدعا واستسقى فقال : [1] اللّهُمَّ ربّنا وإلهنا ومولانا ، صلِّ على نبيّنا محمّدٍ ، ومَن أرادنا بسُوءٍ [2] فأحِطْ ذلكَ السُّوءَ بهِ كإحاطةِ القلائدِ بترائبِ الوَلائدِ [3] ، ثم أرسِخهُ على هامتهِ كرُسوخِ السِّجّيلِ [4] على أصحابِ الفيلِ ، اللّهُمَّ اسقِنا غيثاً ثريثاً [5] طبقاً مَريعاً مُجلجلاً مُسحَنفِراً ، هَزِجاً سَحّاً سفوحاً غدقاً مُثعَنجِراً ، قال : فولّى الأعرابيُّ مُدبِراً ، فقالَ له : مكانَكَ حتّى أقضيَ حاجتَكَ ، فقالَ :

---

(١) وفي الميدنية : ثم قال

(٢) وكتب الناسخ فوق بسوء : بشرّ ، وكأنه أراد التفسير أو الاشارة إلى نسخة أخرى .

(٣) القلائد ج قلادة ، والولائد ج وليدة ، وجمع الوليد ولدان ، وهو كقولهم : (إحاطة السوار بالمعصم) .

(٤) السجّيل : حجارة من طين قال تعالى : (ترميهم بحجارة من سجّيل) وهو فارسي معرّب من (سنك) بمعنى حجر ، و (كيل) بمعنى طين .

(٥) ثريثاً أي كثيراً ، وفي الميدنية (مَريئاً) بتسهيل الهمزة ، وفيها (مَريعاً تامّاً) بدل (مريعاً) .

الطُّوفانُ وربِّ الكعبةِ ! حتّى أُأوي[١] عيالي إلى جبل يعصمهم[٢] من الماء !

قال أبو بكر : (الطَّبَقُ) المطرُ الذي يُطبِّقُ الأرضَ ، و (المَرِيعُ) الذي يُمْرِعُ أي يُخصِبُ ، و (المُجَاجِلُ) : الذي تسمعُ لرَعدِهِ جَلْجَلَةً أي صوتاً وهدّةً ، و (المُسْحَنْفِرُ) الجاري[٣] ، و (السَّحُّ) الصَّبُّ ، و (السَّفوحُ) المُنْسَفِحُ ، و (الغَدِقُ) الكثيرُ الماء ، و (المُثْعَنْجِرُ) الجاري حتّى يَملأَ الأرضَ[٤] .

(١) وفي الأصل آدي ، وإلى جانبها أُأوي ، وفي الهيدنية (أُأوِي) بتسهيل الهمزة الثانية ، و (حتى) قبلها تدلّ على أنه يريد أن يقول : انتظر حتى أووي عيالي ثم أرجع إليك لتقضي حاجتي .

(٢) وفي الهامش يعصمني ، وبمدها خ أي كما جاء في نسخة أخرى .

(٣) قال أبو حنيفة : المُسْحنفر الكثير الصّبّ الواسع قال :

أغرُّ هَزِيمٌ مُستَهِلٌ ربابُهُ   له فُرقٌ مُسْحنفراتٌ صَوادِرُ

(٤) وفي ل (ثعجر) الثَّعْنَجرة انصبابُ الدمع . ثعجر الشيء والدّم وغيره فاثعنجرَ : صَبّه فانصب ، قال امرؤ القيس حينَ أدركه الموت ربّ جفنةٍ مُثْعَنجرة ، وطعنة مُسْحنفرة . تبقى غداً بأنقرة : فالمثعنجرة الملأى تفيضُ ودَكَاً ، والمثعنجر والمسحنفر : السيلُ الكثير ، وبلغني أن قبر امرىء القيس على ربوة بأنقرة ، وبسببه الترك قبر ملك العرب .

٩ ـ أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعيّ، وأخبرنيه أبو عثمان عن التّوّزيّ عبد الله بن هرون عن مَنْ حدّثه قال: مررتُ بغلمة من الاعراب يتماقلون[1] في غدير، فقلتُ لهم: أيّكم يصفُ لي الغيثَ وأُعطيه درهماً، فخرجوا إليّ وقالوا: كلّنا يصفُ، وهم ثلاثةٌ، فقلتُ: صِفُوا، فأيّكم رضِيتُ[2] صفتَهُ أعطيتهُ الدرهمَ، فقال أحدُهمْ:

عَنّ لنا عارضٌ قَصْراً تَسوقُه الصَّبا، وتَحدُوهُ الجنوبُ[3]، يَحبُو حُبُوّ[4] المُعتَنِك، حتّى إذا ادلأمّتْ صُدورُهُ، وانتجلَتْ خُصُورُهُ، ورَجَعَ هديرُهُ، وأصعَقَ زئيرُهُ، واستقَلَّ نشاصُهُ، وتلاءمَ خَصَاصُهُ، وارتَعَجَ ارتِعاصُهُ، وأوفَدَتْ[5] سِقابُهُ،

(١) من (تماقَلَ) والمَقْلُ: الغَمْسُ في الماء، قال في اللسان (مقل): ويقال للرجلين إذا تغاطسا هما يتماقلانِ.

(٢) وفي الميدنية: ارتضيتُ.

(٣) الصّبا ريح الشرق، والجَنوب ريح الجنوب سميت باسم الجهة.

(٤) وفي الميدنية: حَبْوَ.

(٥) وفي الهامش: أوفِدَت أي علت وكلاهما صحيح لأنه يقال: أوفَدَ الشيءَ رفعه وأوفد الشيءُ ارتفع قال ابن مقبل (الديوان ١٩/٦٥):

ترامت لنا يومَ النّسارِ بفاحمٍ وسُنّة ريمٍ خاف سمعاً فأوفدا

اي رفع الريم رأسَه ونصبَ أذنيه.

وامتدّتْ أطنابُهُ تدارَكَ وَدْقُهُ ، وتألَّقَ برقُهُ ، وحُفِزتْ تواليهِ ، وانْسَفَحتْ عَزاليهِ (١) فغادرَ الثَّرى عَمِداً ، والعَزازَ ثَئِداً ، والحَثَّ عَقِداً ، والضَّحاضِحَ (٢) متواصِيَةً ، والشِّعابَ مُتَداعِيَةً ،

وقال آخر (٣) :

تَراءتِ المَخايِلُ من الأقطارِ ، تَحِنُّ حَنينَ العِشارِ ، وتَترامَى بشُهُبِ النّارِ ، قواعِدُها مُتَلاحِكَةٌ ، وبواسِقُها مُتَضاحِكَةٌ ، وأرْجاؤها (٤) (متقاذفة ، وأرحاؤها) مُتَراصِفَةٌ ، فواصَلتِ (٥) الغَرْبَ بالشرقِ ، والوَبْلَ بالوَدْقِ ، سحًّا دِراكاً ؛ مُتَتابِعاً لِكاكاً ، فَضَحْضَحَتِ الجَفاجِفَ ، وأنهرتِ الصَّفاصِفَ ، وحَوَّضَتِ

(١) وفي الهامش : وانفسحت عزاليه ، لديّ من أصل الكنديّ ، وفي هامش بعده جاء ما نصّه : [قال موهوب (انسفحت) هو الصّحيح ، والضحاضح أيضاً] ؛ قلت : وصاحب (الاجازة) التي في صفحة العنوان وهو عبد الرحيم بن عليّ السّلميّ ، قد أخذ العلم عن موهوب الجواليقي ، فلعلّ هذا التصحيح هو بخط موهوب صاحب المعرّب رحمه الله .

(٢) وفي الميدنيّة (الضحاضيح) على القياس .

(٣) هو الغلام الثاني .

(٤) وما بين القوسين من الميدنية ، وقد سهّا عنه الناسخ في المتن هنا ، وأثبته في الشرح التالي ، فدلّ على صحة الميدنية .

(٥) في الميدنية : فوصلت .

الاصالِفَ ، ثم أقلعتْ مُحْسِبَةً محمودةَ الآثارِ ، مَوْمُوقةَ [١] الحبار ؛

وقال الثالث : ووالله ما خلتُه بلغَ خمساً [٢] :

هَلُمَّ الدِّرهم أصِفْ لكَ ، قلتُ : لا ، أوْ تقولَ كما قالا ، فقال [٣] : والله لَأبْدَ نَّهما وَصْفاً ، ولأفوقَنَّهما رَصْفا ، فقلت : هاتِ لِلهِ أبوكَ ! فقال :

بينا [٤] الحاضِرُ بين الناس والإبلاس ، قد غمرهمُ الإشفاقُ ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) وفي الأصل والمبدئية (موقوفة) . وفي الهامش : خ مومومة و خ مرموقة ، مما يدل على نسخ المعارضة حين قراءة الكتاب ، والخط يشبه خطّ موهوب ، وكثير من الهوامش بهذا الخط أيضاً ، و (الحَبار) بفتح الحاء الأثر ، مفرد ، والجمع حبارات ولا يكسّر .

(٢) وقلت لمن عجب أو استنكر من أصحابي فصاحة هؤلاء الصبيان وظنّها من صناعة المؤلف : لا تعجبنّ فلعلّ من مُبَشّراتِ ذلك عليهم أنّ هؤلاء الصبيان كانوا في السنين المجدبة كثيراً ما يسمعون ، وهم في حلقات آبائهم في الخيام عبارات وصف الغمام فحفظوا كثيراً من جُمَل الصفات ، فهم ينضدّونها عند الطلب كما تنضّد الحروف في الطابع ، ولو أنني وجدتُ لعمري أحداً من صبيان هذا الزمان يَصف لي بلغته العاميّة سحابةً أو ضبابة لأعطيته ديناراً لا درهما !

(٣) وفي نسخة : فقلت ، كما جاء في الهامش .

(٤) وفي نسخة : بينا .

ورَهبة الإملاق ، وقد حقبت (١) الأنواء ، ورَفرفَ البَلاء ، واستولَى القنوطُ على القلوب ، وكثُرَ من الذنوب . ارتاحَ ربُّكَ لعبادهِ فأنشأ سَحاباً مُسْجَهِرًا (٢) كَنَهوراً مُعْنَونَكاً مُحلَولِكا ، ثم استقلَّ واحزَألَّ فصارَ كالسَّماء دونَ السَّماء وكالأرضِ المَدحُوةِ فوقَ لوحِ الهَواء ، فأحسَبَ السُّهولَ ، وأتأقَ الهجُول (٣) ، فأحيا الرَّجاء وأمات الضَّرّاء ، وذلك قضاء (٤) ربِّ العالمين . قال : فمَلأَ واللهِ اليفَعُ (٥) صَدري ، فأعطيتُ كلَّ واحدٍ منهم درهماً وكَتَبْتُ كلامَهم .

قال أبو بكر : (عَنَّ) أعترضَ ، و(العارضُ) السَّحابُ يَعترِضُ في الأُفُقِ ، وأكثرُ ما يكون ذلكَ معَ إقبالِ اللَّيلِ ، (والقَصرُ) : العَشيُّ ؛ وقولُهُ (يَحبُو حَبوَ المُعْتَنِكِ) فالحَبْوُ دُنُوُّ الصَّدرِمنالأرضِ ، من ذلكَ حَبا الصَّبيُّ إذا زَحفَ وصَدرُهُ دانٍ

(١) وفي الهامش جاء تفسير (حقبت) : ضاقت وشحّت .

(٢) المُسْجَهِرّ : اي يترقرق فيه الماء كما ذكره في الشرح ابن دريد ؛ واسجهر السَّرابُ إذا ترَيَّهَ وجرَى .

(٣) وفي الهامش : المَجَلُ المطمئن من الأرض .

(٤) وفي الهامش : من فضلِ ، بدل قضاء .

(٥) وفي نسخة : الغلامُ .

من الأرضِ ، و (المُعْتَنِكُ) البَعيرُ وغيرُهُ أيضاً الَّذي يَصعَد في العَانِكِ من الرَّملِ ، وهو الكَثيبُ المُتداخِلُ مِن الرَّملِ يَشُقُّ على الصَّاعدِ فيه ، والبَعيرُ إذا كُلِّفَ صُعودَهُ زَحَفَ فَشبَّهَ نُهوضَ السَّحابِ لِثِقَلِهِ بما فيه من الماءِ بهِ قال رُؤبة [١] :

أوْدَيْتَ إنْ لم تَحبُ حَبْوَ المُعْتَنِكْ

وقَولُهُ (ازلأَمَّتْ صُدورُهُ) أي انتَصَبَتْ [٢] ، و (النَّشاصُ) ما انتَصَبَ من السَّحابِ [٣] ، و (الخَصاصُ) الفُرَجُ ؛ وقولُه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) في الأصل جاء في الشطر : (حَبْوَ المُعْتَنِكْ) وبه ينكسر الشطر من الرَّجز ، والحَبْوُ المصدر والحُبُوّ وزن دُنوّ الاسم ؛ وفي اللسان (عتك) وقد استشهد بقول رؤبة هذا ، وقال في شرحه على التشبيه ، هلكت إن لم تحمل حمالتي بجَهد وقوله (أوديت) أي هلكت واعتنكَ البعيرُ واسْتعنكَ : حَبا في العانك فلم يقدر على السير .

(٢) وارتفعت ، ويقال للرجل إذا نهض فانتصب : قد ازلأمّ ، وازلأمّ النهار والشيء إذا ارتفع قال كثير عزة :

تأرّضُ أخفافُ المُناخةِ منهمُ مكانَ التي قد بُعِثَتْ فازلأمَّتِ

أي ارتفعت في سيرها .

(٣) وقيل : النَّشاص هو السحاب الذي يرتفع بعضه فوق بعض وهو من نَشَصَ ينشُص : ارتفع ، واسْتنشصت الريح السحاب : أنهضته ورفعته ونَشَصت المرأة عن زوجها ونشزت بمعنى واحد ، وهي ناشص وناشز ، والإبدال بين الزاي والصّاد غير قليل .

(انْثَجَلتْ) أي اتَّسعَتْ من قولِهم : بَطنٌ أَثْجَلُ[١] ؛ وقولُهُ : (ارْتَعجَ ارْتِعاصُهُ) الارْتِعاجُ : تَدارُكُ الحركاتِ ، والارْتِعاص : الاضْطرابُ كما يَرْتَعِصُ الجَدْيُ من النَّشاطِ[٢] ؛ وقولُه (أُوقدتْ سِقابُهُ) هذا مَثَلٌ ، والسِّقابُ : أَعمِدَةُ الخِباء ، فشبَّهَهُ بالخِباءِ الذي قد وقعَ ، و (الإيفـــاد) الرَّفع ، و (الأَطْنابُ) حِبالُ الخِباء التي تُشَدُّ بالأوتادِ ،

وقوله (حُفِزَتْ تَواليهِ) أي أُعجِلتْ ، وتَواليهِ : مآخيرُهُ ، و (انْسَفَحتْ عَزاليهِ) أي انْصَبَّت ، والعَزالي : عَزالي المَزادةِ ، وهيَ مَخارجُ الماء من أسافِلِها ؛ وقولُهُ (تَركتِ الثَّرَى عَمِداً) أيْ رَطْباً يَجْتمعُ في اليَد إذا جُمِعَ ؛ و (العَزازُ) الغِلَظُ منَ الأَرضِ ؛ (ثَئِداً) نَدِيًا ؛ و (الحُثُّ) الرَّملُ اليابسُ ،

---

(١) أي ضخم متسع .

(٢) ارتعج وارتعش بمعنى متقارب وهو على البدل بين الجيم والشين قال أبو سعيد (الأصمعي) : الارتعاج والارتعاش والارتعاد واحد ، والارتعاج في البرق كثرته وتتابعه ؛ أمّا (الارتعاص) فهو الاضطراب والاهتزاز ، وارتعصت الشجرة اهتزّت ورَعَصتها الريح وأرعصتها ، وارتعص الجدي والفرس طَفَرا من النشاط .

يقول : تَرَطَّبَ[١] حتى تعقَّد بعضُهُ ببعضٍ[٢] [قال الشاعرُ، أنشدناه عبد الرحمن عن عمّه :

حتى ترى في يابسِ التُّرْباءِ حُثْ   يَعجِزُ عن ريِّ الطُّلَيِّ المُرْتَعِثْ]

و (الضَّحاضِحُ) ما تَضَحْضَحَ على الأرضِ من الماء ؛ و (المُتَواصِي) المُتواصِلُ ، وقولُه (الشِّعابُ مُتَداعِيَة) أيْ قد تداعَتْ بالسَّيل .

وقول الثّاني (تَراءتِ المَخايِلُ) جمعُ مَخيلة ، وهو السَّحابُ الّذي تَستَخيلُ فيه المَطرَ ؛ وقولُه (قواعِدُها) يُريد أسافِلَها ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) في الأصل يرطبه .

(٢) إن ما بين الحاصرتين قد كتبه الناسخ في الهامش ، وتراه من صُلْب شرح ابن دريد شاهداً على معنى (الحُث) ، يؤيّده ما جاء في اللسان (حثث) وهو ، الحَثُّ : الرَّملُ الغليظ اليابس الخَشِنِ قال :

حتى يرى في يابس التُّرْباء حَثّ   يعجز عن ريِّ الطُّلَيِّ المرتَعِثْ

ثم قال اللسان : أنشده ابن دريد عن عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه الأصمعيّ اه . قلت : و (الطُّلَيّ) في الشاهد تصغير طَلًى ، قال الجوهريّ : (الطّلا) الولد من ذوات الظِّلفِ والخُفّ ، وقيل من أولاد الناس والبهائم والوحش من حين يولد إلى أن يَشتدّ ، والجمع أطلاء وطَلِيّ وطِلْيان ، فالطُّلَيّ بضم الطاء وفتح اللام تصغير الطَّلَى ، قال زُهير بن أبي سلمى :

بها العينُ والآرامُ يَمشِينَ خِلْفةً   وأطلاؤُها يَنهضْنَ من كلِّ مَجْثَمِ

(مُتَلاحِكَةٌ) مُتَداخِلٌ بَعضُها في بعضٍ ، و (بَواسِقُها) أعاليها . (مُتَضاحِكَة) بالبَرقِ ؛ و (أَرْجاؤُها) نَواحيها ؛ (مُتَقاذِفَةٌ) متباعِدةٌ ؛ و (أَرْحاؤُها) أوساطها ؛ (مُتَراصِفَةٌ) مُتَراكِبة قد انْضَمَّ بَعضُها إلى بعضٍ ؛ وقولُهُ (واصلَتِ الشَّرقَ بالغربِ) أي امْتدَّتْ من المَشرِقِ إلى المَغرِبِ ؛

وقولُهُ : سَحًّا دِراكاً : أيْ صَبًّا مُتَدارِكاً ، و (اللَّكاكُ) الزِّحامُ اللاَّصِق بَعضُه ببَعضٍ [1] ؛ و (الحَفاحِفُ) الغِلاظُ منَ الأرضِ ، الواحدُ حَفْحَفٌ [2] و (الصَّفاصِفُ) [الواحد صَفصَف] وهيَ الأرْضُ الصُّلْبةُ المَلْساءُ دونَ الحجارةِ ، وأصْلبُ من الطِّينِ [3] ، و (حَوَّضَتْ) جُعلتْ فيهـــا حِياضاً ؛

(١) ويقال : النَّكُّ الوِرْد التَّكاكا : إذا ازدحم وضرب بعضه بعضاً ومنه قول الراجز يذكر قليباً :

صَبَّحنَ من وَشْحى قَليباً سُكّا يَطمو إذا الوِرْدُ عليه التَّكّا

(٢) وقد خلت المعاجم المطبوعة من هذا الحرف فما هو في القاموس بهذا المعنى ولا لسان العرب ، والذي جاء في القاموس : حَفْحَفَ (الرجل) شافت معيشته .

(٣) وفي اللسان : وأرض صَفصفٌ : مَلساء مستوية ، وفي التنزيل : فيذرها قاعاً صَفصَفاً ، قال الشاعر :

(إذا ركبَتْ داوِيَّةً مُدلَهِمَّةً وغَرَّدَ حاديها لها بالصَّفاصِفِ)

و (الأَصالِفُ) واحدها أَصْلَفُ وصَلْفَاء ، وهو الصّلبُ مِنَ الأَرْضِ [١] .

وقولُ الثّالثِ : (هَلُمَّ الدِّرْهَم) : أيْ هاتِهِ ، قال الأزهريُّ : هَلُمَّ ، بمعنى أَعْطِ ؛ وهيَ هنا بهذا المعنى ، وقد تكون بمعنى تَعالَ وأقبِلْ ؛ وقوله : (لأَبُذَّنَّهما وَصْفاً) من قولهم : بَذَّ القومَ يَبُذُّهم إذا سَبَقهم وغَلَبهم ؛ و (الرَّصْف) التَّركيب ؛ و (الإبلاسُ) هو اليأس وهو مصدر قولهم أبلسَ الرجل إذا قُطِعَ به ، وأبلس من رحمة الله أي أُويِسَ كما أويس ابليسُ ، وهو مشتق من ذلك ، و (الإشفاق) الخوف ، و (الإملاق) الفقر قال تعالى « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق » أو « خَشْيَةَ الإمْلاقِ » في الآيتين ؛

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقوله : (حَقَبت الأَنواء) : أي احتبست الأَمطارُ يقال : حَقَبَ المطر حَقَباً : احتبسَ ، و (الأنواء) جمع نَوْء ، وهو

---

(١) قلت : ولم يفسر لنا ابن دريد (موموقة الحبار) فهي بمعنى (محمودة الآثار) التي قبلها لأن الحبار هو الأثر ، وكتب الناسخ بعد (من الأرض) في الهامش : (ولم يفسر قول الثالث) . وهو الغلام الوصاف ولا غير ، وقد فسرنا ألفاظه في الصفحة التاليـــة على الطريقة الدريدية لإكمال فائدة الكتاب .

وقت طلوع نجم في المشرق وانحدار نظيره في المغرب ، ويقول الأعراب : مُطِرنا بنَوء النجم الفلانيّ ؛ و (السّحاب المُسْجَهِرُّ) هو الذي يترقرق فيه الماء ، و (الكَنَهْوَر) من السُّحب : المتراكبُ الثخينُ ، وقال الاصمعيّ وغيره : هو قطع من السحاب أمثال الجبال ؛ و (المُغَنْوِنكُ) من السحاب : المرتفع و (المحلولك) الشديد السّواد من احلولك الشيء ، وقالوا حالك ، وحانك على البدل ومحلولك وحُلكوك بمعنىً واحد .

وقوله : (ثم استَقلّ واحزَألّ) : فاستَقلّ بمعنى ارتفعَ يُقال : استقلّ الطائرُ في طيرانه نهضَ للطّيران وارتفعَ في الهواء ، ويُقال : احزألّ السحابُ إذا ارتفع نحو بطن السماء ، والسماء أيضا المطر نفسُه يقال : وقعت في أرضهم سَماء وأصابتهم السماء قال جرير :

إذا سقط السماء بأرض قوم رعَيناه وإن كانوا غِضابا

وقوله : (كالأرض المَدْحُوّة) أي المنبسطة قال تعالى : « والأرضَ بعد ذلك دحاها » و (لوح الهواء) اللّوح : الهواء بين السماء والأرض ، و (أحسَبَ السهولَ) كفاها من المطر ، و (أتأقَ الهُجولَ) : أتأقَ مَلأ ، والهُجول والهِجالُ والأهجال

جمع هِجَل رزان عجل : الغائطُ يكون منفرجًا بين الجبال مطمئناً موطئه صلب ؛ و (اليَفَع) واليَفَعة واليافع : الشابّ وأيفعَ وتَيَفَّعَ الغلام إذا شارف الاحتلام .

١٠ ــ أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعيّ قالَ : سألتُ أعرابيًا عن مَطرٍ أصابهم بعدَ جَدْبٍ فقال :

إرْتاحَ لنا ربُّكَ (١) بعدَ ما استَوْلى اليأسُ على الظُّنُون ، وخَامَرَ القلوبَ القُنُوطُ ، فأنشأ بنَوءِ الجَبْهةِ قَزَعَةً كالفَرْضِ من قِبَلِ العَيْنِ ، فاحزألّتْ عندَ ترَجُّلِ النَّهارِ لإزميمِ السِّرار ، حتَّى إذا نَهَضَتْ في الأُفقِ طالعةً أمَرَ مُسْخِرُها الجنوبَ فَتَنَسَّمَتْ لها فانْتَشَرتْ أحضَانُها ، واحْمَوْمَتْ أركانُها ، وبَسَقَ عنانُها ،

(١) عبارة دالّة على جفوة الأعراب ، وهي بمعنى حنَّ علينا الله برحمته بعد قسوته ، وأصل الارتياح النشاط : قال رؤبة :

(فارْتاحَ ربّي وأراد رحمتي ونعمةً أتَمَّها فتَمَّتِ)

قال ابن منظور : أراد بقوله (فارتاح) : نظرَ إليَّ ورحمني ، قال الأزهري : قول رؤبة في فعل الخالق قاله بأعرابيّته ، قال : ونحن نستوحش من مثل هذا اللفظ لأن الله تعالى إنّما يوصف بما وصف به نفسه ، ولولا أن الله تعالى ذِكرُه هدانا بفضله لتمجيده وحمده بصفاته التي أنزلها في كتابه ما كنا لنهتديَ لها أو نجترىء عليها ، قال ابن سيده : فأما الفارسيّ (أبو علي) فجعل هذا البيت من جفاء الأعراب كما قال :

لاهُمَّ إنْ كنتَ الذي كعهدي ! ولم تُغيّرك السنونَ بعدي

واكفهرّتْ رَحاها ، وانبَعَجتْ كُلاها ، وذَمَرتْ أُخراها أُولاها ، واستَطارَت [١] عقائقها ، فارتعجت [٢] بوارقُها ، وتقعقعتْ صَواعِقُها ، ثم ارثَعَنَّتْ جوانبُها ، وتَداعَتْ سَواكبُها ، ودَرَّتْ حوالِبُها ، فكانَتْ للأرضِ طَبَقًا سَحٌّ فَهَضَبَ ، وعَمَّ فأحسَبَ ، فَعَلَّ القيعانَ ، وضَحْضَحَ الغيطانَ ، وجَوَّخَ الأضواجَ ، وأترعَ الشِّراجَ ، فالحمدُ للهِ الّذي جَعَلَ كِفاءَ إساءتنا إحسانًا ، وجزاءَ ظُلمنا غُفرانًا .

قال أبو بكر : قولُهُ (بنَوْءِ الجبهة) الجَبْهةُ نجمٌ من نجوم الأَسد ، (و) نَوْؤُها مَحْمودٌ عندهم [٣] ؛ وقوله (قَزَعَة) هي القِطعة من السَّحاب صَغيرة ؛ و (القَرْض) التُّرس الصَّغير [٤] ؛ و (العَيْنُ) عَينٌ عن يمين القِبْلة ، وقوله (فاحزَألّتْ) أي

(١) وفي الميدنية : ثم استطارت .

(٢) وفي الميدنية : وارتعجت .

(٣) وفي اللسان (جبه) : الجبهة : اسم مَنزلة من منازل القمر، الأزهريّ : الجبهة النجم الذي يقال له : جبهة الأسد وهي أربعة أنجم ينزلها القمر ، قال الشاعر :

إذا رأيتَ أنجمًا من الأسدْ
جَبهتَه أو الخَراتَ والكَتَدْ
بالَ سُهيلٌ في الفضيخِ ففَسَدْ

(٤) وللقَرْض معانٍ منها التّرس قال صَخر الغَيّ الهذليّ :

أرقتُ له مثل لَمعِ البَشيرِ يُقلّبُ بالكفّ قَرْضًا خَفيفاً

ارتفعت ؛ و (تَرَجُّلُ النهار) انبساطُ الشمس ؛ و (الإزْمِيمُ) إحدى ليالي السِّرار ، وهي ثلاثُ ليالٍ من آخرِ الشهر [١] ؛ وقوله (انتشرت أحضانها) أي انبسطت ، والأحضان : النواحي ؛ وقوله (أحمَوْمت أركانُها) أي اسودّت بلَونِ الحُمّة [٢] ، وهو سواد تخلطه حُمرة ؛ و (بَسَق) ارتفعَ ، و (العَنان) السّحاب ، وقوله (اكفهرّت) أيْ كَثُفت ، و (رَحاها) وسَطها ، وقوله (انبعجت كُلاها) هذا مَثَلٌ ، والكُلْية [٣] ما تَعيّنَ من السِّقاء أو القِربة حتى رَقَّ ورَشَحَ منه الماء ، فشبّهَ مخارجَ المطرِ من السّحاب بذلك ،

(يتبع) عز الدين التنوخي

---

(١) التهذيب : والإزميم الهلال إذا دَقَّ في آخر الشهر واستقوس وقال ذو الرّمة :

قد أقطع الخَرقَ بالخَرقاءِ لاهيةً كأنّما آلُها في الآلِ إزْميمُ

(٢) وفي الأصل : الحُوّة ، وفي الهامش (الحُمّة) وهي أصحّ لمناسبة (احمَوْمت) ، والحُمّة في اللغة دون الحُوّة .

(٣) وفي حاشية : والكُلْية رقعة تكون تحتَ عُروة المَزادةِ والدّلو ، و (انبعجت) انشقّت صح .

المقـدمة

من كتاب المسائل والأجوبة

« مسألة رُبَّ »

ابن السيد البطليوسي عبد الله بن محمد النحوي الأندلسي [1] المتوفى سنة ٥٢١ هـ من علماء العربية المشهورين . سكن مدينة بلنسية من مدن الأندلس . وكان الناس يجتمعون إليه ، ويقرءون عليه ، ويقتبسون منه . وكان ثقة من الثقات ، صاحب التصانيف المفيدة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تصانيفه :

(١) كتاب المثلث (وهو كتاب ضخم أتى فيه بالعجيب وزاد على ما جاء به قطرب) .

(٢) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب (طبع ببيروت سنة ١٩٠١ م) .

(٣) الانصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف (وهو مطبوع في مصر سنة ١٣١٩ هـ) .

(٤) شرح سقط الزند لأبي العلاء المعري .

(٥) كتاب في الحروف الخمسة ، وهي السين والصاد والضاد والطاء والدال .

(٦) كتاب الحلل في شرح أبيات الجمل .

(٧) كتاب شرح الموطأ .

(١) انظر : بغية الملتمس ص ٣٢٤ ، الصلة ٢٨٧ ، قلائد العقيان ١٩٣ ، ابن خلكان ٢٨٢/٢ القاهرة ١٩٤٨ .

وقال ابن خلكان : « وسمعت أن له شرحاً لديوان المتنبي ولم أره » .

وذكر الزركلي في الأعلام أن له « كتاب الحلل في أغاليط الجمل » وأغلب الظن أنه الكتاب الآنف الذكر ، كما ذكر أن له « كتاب الحدائق في أصول الدين » .

(٨) كتاب المسائل والأجوبة .

وهو الكتاب الذي نعنى بنشر مختارات منه من ضمنها « مسألة رب » هذه . والكتاب يشتمل على مسائل كان ابن السيد قد سئل عنها فكتب أجوبته وألف من مجموع الأجوبة كتاباً ضخماً يتناول ما ينيف على مئة مسألة .

ومادة الكتاب تتضمن مسائل في النحو واللغة والأدب والتفسير والأصول .

والمخطوط من مخطوطات العلامة الجليل السيد حسن حسني الصيادحي من تونس الأعلام . وقد اطلعت على المخطوط وأفدت منه فوائد عدة ، واخترت منه مسائل اثبتها في مجموع النصوص لغوية معد للنشر .

والمخطوطة بخط تونسي جيد حديثة الخط ، إذ أن تاريخ نسخها سنة ١٢٩٩ للهجرة وهي بخط محمد الطيب بن ابراهيم الرياحي التونسي .

أما بروكلمان فهو يذكر في كتابه أن للكتاب نسختين خطيتين الأولى في ليدن والثانية في فاس ، ولم يشر إلى مخطوطتنا هذه .

المسألة الخمسون في « رُبَّ » :

سألت أدام الله عزتك ، وحمى من النوائب حوزتك ، وملكك نواصي النعم ، وبلغك أقاصي الهمم ، عن قول النحويين : إن رُبَّ للتقليل ، وقلت : كيف يصح ما قالوه وكلام العرب المنظوم والمنثور يشهد بضد ما زعموه ، لأن القائل إذا قال : رب عالم لقيته ، ورب طعام طيب أكلته ، فانما غرضه أن يكثر من لقيه للعلماء ، وما أكله من الطعام الطيب وكذلك قول امرىء القيس :

ألا رب يوم صالح لك منهما ولا سيما يوم بدارة جلجل (١)

وقال الأعشى :

رب رفد هرقته ذلك اليوم وأسرى من معشر أقتال (٢)

لا يليق بها التقليل لأن بيت امرئ القيس بيت افتخار بكثرة الأيام الصالحة التي تنعّم فيها بالنساء ، وان « يوم دارة جلجل » كان أجلها وأحسنها ، وبيت الأعشى بيت مدح ولم يمدح الذي مدحه بأنه أراق رفداً واحداً . ومثل هذه الأبيات — أدام الله عزك — حمل القائلين على أن يقولوا : إن « رب » للتكثير ، مع أن سيبويه قال في باب « كم » ومعناها كمعنى « رب » فتوهموا أن مذهبه أنها للتكثير .

ARCHIVE

وقد كان أشكل علي من أمرها قبل فوقي في هذه الصناعة مثل ما أشكل عليك ، وحسبت أن أبا القاسم الزجاجي وأبا جعفر بن النحاس ونحوهما من صغار النحويين غلطوا في ذلك ، فجعلت أبحث عما قاله فيها جلة النحويين فوجدت كبراء البصريين ومشاهيرهم مجمعين على أنها للتقليل وأنها ضد « كم » في التكثير كالخليل ، وسيبويه ، وعيسى بن عمر ، ويونس ، وأبي زيد الأنصاري ، وأبي عمرو بن العلاء ، والأخفش سعيد بن مسعدة ، والمازني ، وأبي عمر الجرمي ، وأبي العباس المبرد ، وأبي بكر السراج ، وأبي اسحاق الزجاج ، وأبي علي الفارسي ، وأبي الحسن الرماني ، وابن جني ، والسيرافي ، وكذلك جلة الكوفيين

---

(١) رواية التبريزي في شرحه المعلقات كالآتي :

ألا رب يوم لك منهن صالح ..

(٢) من قصيدته التي مطلعها :

ما بكاء الكبير بالاطلال وسؤالي وما ترد سؤالي

كالكسائي ، والفراء ، ومعاذ الهراء ، وابن سعدان [١] ، وهشام [٢] ، ولم أجد لهم مخالفاً في ذلك الا صاحب كتاب العين فانه صرح بأنها للتكثير ولم يذكر أنها جاءت للتقليل . وهذا من أظرف شيء لأن (رب) قد كثر استعمالها في مواضع لا يسوغ فيها التكثير سنذكرها إذا انتهينا إليها إن شاء الله تعالى .

ورأيت الفارابي قد ذكر في كتاب الحروف : أنها تكون تكثيراً وتقليلاً . ورأيت قوماً من نحويين زماننا هذا ومن قرب زمانه من زمانهم يعتقدون أنها للتكثير مثل « كم » وكأنهم يعتقدون أن النحويين المتقدمين غلطوا فيها ورأيتهم يتكلمون بالمواضع التي ظاهرها التكثير ويغفلون المواضع التي لا تحتمل الا التقليل .

ورأيت قوماً منهم يحتجون بقول سيبويه في « كم » أن معناها كمعنى « رب » وقد يتعين على المصنف إذا رأى رأياً يخالف ما رآه المبرزون في صناعة من الصنائع أن يتهم رأيه ولا يتسرع في تخطئتهم وانما ينبغي أن يلتمس حقيقة ما قالوه ، فلسنا نشك في أن الخليل وجميع من سميناه من البصريين والكوفيين قد رأوا الأبيات التي ظاهرها التكثير كما رآها هؤلاء المعترضون عليهم لأنها كثيرة جداً ، وليس مجيئها للتكثير شاذاً قليلاً فيتوهم أنه غاب عنهم اقلته ، بل تكاد المواضع التي ظاهرها الكثرة تكون موازية للمواضع التي تقع فيها القلة . فهذا إتفاق جميع ما ذكرناه على أن أصل « رب » للتقليل و « كم »

---

(١) هو أبو جعفر محمد بن سعدان الضرير المتوفى سنة ٢٣١ هـ . انظر ترجمة في السيوطي بغية الوعاة ٤٥ ، طبقات النحويين للزبيدي ١٥٣ ، نزهة الألباء لابن الأنباري ص ١٠٧ ، ارشاد الأريب لياقوت ٢٠١/١٨ .

(٢) هو هشام بن معاوية الضرير النحوي الكوفي المتوفى سنة ٢٠٩ هـ أنظر ترجمته في أنباه الرواة ٣٦٤/٣ ، نزهة الألباء ١١٣ ، بغية الوعاة ٤٠٩ ، ابن خلكان ١٩٦/٢ طبقات النحويين للزبيدي ١٤٧ نكت الهميان ٣٠٥ .

للتكثير دليل على أن لهم في ذلك غرضاً ينبغي أن يعلم ويوقف عليه، وكذلك قال سيبويه: إن «كم» معناها كمعنى «رب» لا دليل فيه على أنها للتكثير من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن سيبويه لم ينازع غيره في قولهم: أن «رب» للتقليل و«كم» للتكثير.

والثاني: أن سيبويه إذا تكلم في الشواذ في كتابه فمن عادته في كثير منها [قوله] «ورب شيء هكذا» يريد أنه قليل نادر كقوله في باب «ما وقد» في بيت الفرزدق:

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم إذ هم قريش واذ ما مثلهم بشر (١)

وهذا لا يكاد يعرف. كما «لات حين مناص» و«رب شيء» هكذا، وهو كقول بعضهم «هذه ملحفة جديدة في القلة» فكيف يتوهم عليه أنه أراد بقوله: أن معنى «كم» كمعنى «رب» أنها مثلها في الكثرة وهو يستعملها في كلامه، وما يستعمله يتكلم عليه في مسائل كتابه بضد ذلك.

والوجه الثالث أن كل من شرح كتاب سيبويه لم يقل أحد منهم أن سيبويه أراد بهذا الكلام أن «رب» للتكثير. وقد فسر أبو علي الفارسي هذا الموضع فقال: انما قال: أن معنى «كم» كمعنى «رب» لأنها تشارك «رب» في أنها يقعان صدراً، وأنها لا يدخلان إلا على النكرة، وان الاسم المذكور الواقع بعدهما يدل على أكثر من واحد، وان كان الاسم الواقع بعد «كم» يدل على كثير، والاسم بعد «رب» يدل على قليل فيختلفان في هذا الوجه، ويختلفان أيضاً في أن «كم» اسم، و«رب» حرف، وكذلك قال ابن درستويه والرماني وغيرهما في شرح هذا الموضع من كلام

---

(١) من قصيدة يمدح فيها عمر بن عبد العزيز مطلعها:

زارت سكينة اطلاحا أناخ بهم شفاعة النوم للعينين والسهر

سيبويه ، وإن كانت المواضع التي ظاهرها التكثير عنده أولاً توجب أنها للتكثير ، فقد يجب أن تكون المواضع التي ظاهرها التقليل توجب أن تكون للتقليل . ولا أقل من أن يتعادل الأمران عندهم فيقول : إنها تكون تقليلاً وتكثيراً كما قال أبو نصر الفارابي . وأنا أؤصل في (رب) أصلاً ينبغي تفريع مسائلها عليه ، ويصرح بما أشاره أهل هذه الصناعة المتقدمون إليه إن شاء الله تعالى .

« باب الكلام على (رُبَّ) وحقيقة وضعها »

إعلم أن « رب » و « كم » بنيا على التناقض في أصل وضعها . لا أن أصل « رب » للتقليل ، وأصل وضع « كم » للتكثير . هذه حقيقة وضعها ثم يعرض فيها المجاز للمبالغة وغيرها من الأغراض فيقع كل واحد منها موقع صاحبتها ، وهذا سبيل المجاز لأنه عارض يعرض للشيء فيستعار في غير موضعه ، ولا يبطل ذلك حقيقته التي وضع عليها ، ومثال ذلك المدح والذم وأنهما وضعا على التناقض في أصل وضعها ، ثم يعرض لها المجاز فيستعمل الذم مكان المدح كقول القائل « أخزاه الله ما أشعره ، ولعنه الله ما أفصحه » ويستعمل المدح مكان الذم فيقال للأحمق : « يا عاقل » وللجاهل « يا عالم » وللبخيل « يا جواد » وذلك على سبيل الهزء . قال الله تعالى حكاية عن قول شعيب أنهم قالوا له : « إنك لأنت الحليم الرشيد » (١) ، وقال لفرعون « ذق أنك أنت العزيز الكريم » (٢) ومثله قول الشاعر :

وقلت لسيدنا يا حكيم ... انك لم تأس سوءاً وفيقا

---

(١) سورة هود ، الآية ٨٧ .

(٢) سورة الدخان ، الآية ٤٩ .

وقال بعض شعراء اليمن يخاطب جريراً :

أبلغ كليباً وأبلغ عنك شاعرها أني الأعز وأني زهرة اليمن

فأجابه جرير فقال :

ألم يكن في وسوم قد وسمت به من حان موعظة يا زهرة اليمن [١]

فسماه « زهرة اليمن » حكاية لقوله ، وهزءاً به ، وكذلك التذكير والتأنيث تقيضان في أصل وضعهما ثم يلحقهما المجاز فيقع كل واحد منهما موقع صاحبه مع حفظه لأصله الذي وضع عليه ، فيقولون للرجل : علاّمة ونسّابة ، ويرون أنه أبلغ من قولهم : علاّم ونسّاب ويقولون : امرأة طاهر وعاقر وحاسر ، ويرون ذلك أبلغ من التأنيث لو جاؤوا به ههنا . ووجه المبالغة عندهم في هذا أن النقيضين انما بينهما حد يتصل بعضهما من بعض ، فاذا زاد أحدهما في حده انعكس إلى ضده ، لأنه لا مذهب له يذهب إليه إذ لا واسطة بينهما ولذلك قال الشاعر :

... ... وشر الشدائد ما يضحك

وقال أبو الطيب المتنبي :

وجدت[٢] حتى كدت تبخل حائلاً للمنتهى ومن السرور بكاء [٣]

---

(١) ورد البيت في الديوان على الوجه الآتي :

ألم يكن في وسوم قد وسمت بها من حان موعظة يا حارث اليمن

وكان جرير قد هجا زهرة اليماني ص ٥٦٦ في قصيدة مطلعها :

عرفت منازلاً بلوى الثاني وقد ذكّرن عهدك بالغواني

(٢) هكذا في الديوان ، أما في المخطوطة : وجدت .

(٣) من قصيدة مطلعها :

أمن ازديارك في الدجى الرقباء إذ حيث أنت من الظلام ضياء

وقال أبو العلاء المعري :

[فلا تحسبوا دمعي لوجد وجدته] فقد تدمع العينان من شدة الضحك[1]

وعلى الثاني هذا السبيل من المجاز يضعون النفي موضع الايجاب ، والايجاب موضع النفي ، ويخرجون الواجب بصورة الممكن ، والممكن بصورة الواجب وغير ذلك من المجازات التي تكثر إن ذكرناها وتخرجنا عن الغرض الذي نحن بصدده ، وقاصدون نحو مقصده . فكما أن وقوع بعض هذه الأشياء موضع بعض لا يبطل أصل وضعها ، فكذلك موقع « رب » موقع « كم » و « كم » موقع « رب » لا يبطل أصل وضعها على ما نذكر إن شاء الله تعالى .

« باب ذكر المواضع التي تقع فيها « رب » للتقليل والتخصيص على حقيقة وضعها »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فمن ذلك قول العرب إذا مدحوا الرجل « ربه رجلاً » وهو شبيه بقولهم : لله دره رجلاً . وهذه مسألة قد اتفق عليها البصريون والكوفيون قاطبة ونص عليها سيبويه في كتابه . وهذا تقليل محض لا يتوهم فيه كثرة . لأن الرجل لا يمدح بكثرة النظراء والأشباه ، وانما يمدح بقلة النظير أو عدمه بالجملة . وكذلك في التعجب : أنه ما خفي سببه وخرج عن نظائره ، وانما يريدون بقولهم : « ربه رجلاً » أنه قليل غريب في الرجال ، فكأنهم قالوا : ما أقله في الرجال

---

(١) رواية الديوان :

فلا تحسبوا دمعي لوجد وجدته فقد تدمع الأحداق من كثرة الضحك

ومطلع القصيدة :

وصفراء لون التبر مثلي جبيدة على نوب الأيام والعيشة الضنك

وما أشده فيهم . ويدل على ذلك تصريحهم في المدح بلفظ القلة في نحو قولهم : « قل من يقول هذا ، وقل من يعلم ذلك الا زيد ونحو ذلك » .

وقال أبو زيد الأنصاري : بيد بمعنى غير ، وربما كانت بمعنى من أجل .

قال أبو عبيدة : الأسد توصف بالفَدَع (١) وهو أن تقبل الرجل الواحدة على الأخرى وربما كان الفَدَع أن ينقلب الرسغ إلى الجانب الوحشي . أراد أن هذا قليل والأول هو الاكثر .

وقال أبو العباس المبرد في « الكامل » : « وكانت الخنساء وليلى بائنتين في أشعارهما لأكثر الفحول وربما امرأة تتقدم في صناعة وقلما يكون ذلك » (٢) . والجملة ما قال الله عز وجل : « أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين » (٣) وربما جاءت فيه « رب » بمعنى القلة قول العرب : وربما خان الأمير وربما سفه الحليم . أي أن هذا قد يكون ، وان كان الأكثر غيره كما قال قيس بن زهير : (٤)

أظن الحلم دل علي قومي ... وقد يستجهل الرجل الحليم (٥)

---

(١) لم تشر كتب اللغة إلى قول أبي عبيدة في الفدع ، فليس هو مختصاً بالأسد بل مطلق عام .

(٢) ورد الخبر في الكامل للمبرد (تحقيق زكي مبارك) ١٢١٣/٢ على الوجه الآتي : « وكانت الخنساء وليلى بائنتين في أشعارهما ، متقدمتين لأكثر الفحول ، ورب امرأة تتقدم في صناعة ، وقلما يكون ذلك » .

(٣) سورة الزخرف الآية : ١٨ .

(٤) هو قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي ، أمير عبس وداهيتها وأحد السادة القادة في عرب العراق توفي سنة ١٠ هـ انظر الميداني ١٨٤/١ ، ابن أبي الحديد ١٠٠/٤ خزانة الأدب ٥٣٦/٣ سمط اللآل ٥٨٢ .

(٥) انظر شرح الحماسة للتبريزي ٣٩٧/١ والبيت من قصيدة مطلعها :

تعلم أن خير الناس ميت ... على جفر الهباءة لا يريم

وقال سالم بن وابصة : (١)

لا تبترر بصديق أنت تمحضه وخفه خونك من ذي الغدر والملق
إن الزلال وان انجاك من غصص دأبا فربتما أرداك بالشرق

وقال أعشى باهلة : (٢)

لا يبطرن ذا مقة أحبابه فربما أردى الفتى لعابه

وقال حاتم الطائي (٣) :

اني لأعطي سائلي وربما أكلف ما لا يستطاع فأكلف

وقال زهير :

وأبيض فياض يداه غمامة على معتفيه ما تغب فواضله (٤)

وهذا خصوص لا وجه فيه للتكثير ، لأنه انما أراد بالأبيض حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، ولم يرد جماعة كثيرة هذه صفتهم . ألا تراه يقول بعده :

حذيفة ينميه وبدر كلاهما إلى باذخ يعلو على من يطاوله

وقال خَوّات (٥) بن جبير الأنصاري صاحب ذات النحيين (٦) :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) هو سالم بن وابصة بن معبد الأسدي ، أمير شاعر ، من أهل الحديث ، دمشقي سكن الكوفة ، انظر سمط اللآلي ص ٨٤٤ .

(٢) هو أعشى باهلة عامر بن الحارث بن رياح الباهلي من همدان يكنى أبا قحطان . أنظر خزانة الأدب ٩٠/١ سمط اللآلي ٧٥ .

(٣) هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي ، أبو عدي فارس جواد . أنظر الشعر والشعراء خزانة الأدب ٤٩٤/١ الشريشي ٣٣٢/٢ .

(٤) قال زهير بن أبي سلمى من قصيدة مطلعها :

صحا القلب من سلمى وأقصر باطله وعرّي أفراس الصبا ورواحله

(٥) هذا هو الصحيح بتشديد الواو ، أما في المخطوطة : خوات .

(٦) ذات النحيين : قصة لامرأة من تيم الله بن ثعلبة ومثلها مشهور . انظر اللسان مادة « نحا » .

وذات عيال واثقين بعقلها خلجت لها جار استها خلجات

وانما أراد بقوله : ذات عيال ذات النحيين وحدها ، ولم يرد أنه فعل هذه القصة مراراً كثيرة . وكذلك قوله [1] في هذه القضية :

وأهل خباء صالح ذات بينهم قد احتربوا في عاجل أنا آجله

وانما أراد هاج بين حيه وحيها من الحرب فسبب هذه القمة ولم يرد أهل أخبية كثيرة . وقال صخر بن عمرو بن الشريد أخو الخنساء [2] :

وذي أخوة قطعت أقران بينهم كما تركوني واحداً لا أخا ليا [3]

وانما أراد بذي ههنا زيد بن حرملة الحربي ، وهو الذي قتل أخاه معاوية فلما قتله بأخيه أنشد هذا الشعر ، وقوله : « كما تركوني واحداً لا أخا ليا » يبطل معنى الكثرة ههنا ، لأن الذين تركوه بلا أخ انما كانوا بني حرملة ولم يكن له أخ قتل غير معاوية . وقال بعض شعراء غسان يصف وقعة كانت بينهم وبين مذحج في موضع يعرف بالبقلاء :

وقوم على البقلاء لم يك مثله على الأرض قوم في بعيد ولا دان

وأنشد سيبويه وغيره من النحويين :

ويوم شهدناه سليم وعامر قليل سوى الطعن النهال نوافله [4]

وقال ابن مخلاة الحمار في يوم مرج راهط :

ويوم ترى الرايات فيه كأنها حوائم طير مستدير ووافم

---

(١) المقصود هو زهير بن أبي سلمى .

(٢) هو صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحي السلمي سنة ١٠ للهجرة وهو أخو الخنساء ، من الفرسان والغزاة . انظر النويري ، عيون الأخبار ٣٦٦/١٥ ، المبرد الكامل ٢٦٦/٢ ، التبريزي ، شرح الحماسة ١١٠/٣ .

(٣) هكذا في المراجع ، أما في المخطوطة : « وذي أخوة قطعت أعراق بينهم »

(٤) انظر سيبويه (الكتاب) ٩٠/١ ونسبة البيت إلى رجل من بني عامر .

فهؤلاء إنما وصفوا أياماً مخصوصة بأعيانها يرى ذلك أيضاً إذا نظر في أخبار هذه الأشعار التي قيلت فيها ، وما أنشده النحويون من قوله [١] :

وتار قد حضأت بعيد وهن [٢] بدار ما أريد بها مقاما

وهذا شعر مشهور ، ولا معنى فيه للكثرة لأنه إنما وصف قصة جرت له مع الجن مرة واحدة . ونحن نذكر أبياتاً كثيرة من أشعار المحدثين في جميعها أن « رب » للتقليل كثر استعمالها فلم ينكر أحد من العلماء عليهم فصارت لذلك كأنها حجة فمن ذلك قول أبي تمام الطائي :

عسى وطن يدنو بهم ولعلما وإن تعتب الأيام فيهم فربما [٣]

يريد ربما اعتبت في بعض الأحيان ، وقال أبو الطيب المتنبي :

ربما تحسن الصنيع لياليـــــه ولكن تكدر الأحسانا [٤]

وقال :

ولربما أطر القناة بفارس وثنى فقومها بآخر منهم [٥]

وقال :

ويوم كليل العاشقين كمنته أراقب فيه الشمس أيان تغرب [٦]

(١) البيت لتأبط شرا انظر « اللسان » مادة « حضأ » .
(٢) هكذا في المخطوطة أما في اللسان : هدء .
(٣) مطلع قصيدة يمدح بها محمد بن يوسف الثغري .
(٤) من قصيدة مطلعها :
صحب الناس قبلنا ذا الزمانا وعناهم من شأنه ما عنانا
(٥) من قصيدة مطلعها :
لهوى النفوس سريرة لا تعلم عرضاً نظرت وخلت أني أسلم
(٦) من قصيدة مطلعها :
أغالب فيك الشوق والشوق أغلب وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

وقال يهجو كافوراً :

وأسود أما القلب منه فضيق   نخيبٌ وأما بطنه فرحيب [١]

وقال يمدحه :

وأبلج يعصي باختصاصي مشيره   عصيت بقصديه مشيري ولومي [٢]

وانما عنى بالأبلج كافوراً وبمشيره ابن حنزابة وزيره ، وكذلك قوله لسيف الدولة :

علينا لك الإسعاد إن كان نافعاً   بشق قلوب لا بشق جيوب

ورب كئيب ليس تندى جفونه   ورب كثير الدمع غير كئيب [٣]

وقد أوضح ما أراده من التقليل ههنا في موضع آخر فأخرجه بغير لفظ « رب » وهو :

وفي الأحباب مختص بوجد   وآخر يدعي معه اشتراكا [٤]

ومن أشعار المحدثين قوله :

الحر طلق ضاحك وربما   تلقاه وهو العابس المتجهم

وقال آخر :

احذر عدوك مرة   واحذر صديقك ألف مرة

فلربما انقلب الصديـ   ـق فكان أعلم بالمضرة

---

(١) لا توجد هذه القصيدة في الديوان (شرح العكبري) .

(٢) هكذا البيت في الديوان ، أما في المخطوطة : « وأبلج يخفي باختصاصي مشيره » وهو من قصيدة مطلعها :

فراق ومن فارقت غير مذمم   وأمّ ومن يممت خير ميمم

(٣) هكذا البيت في الديوان ، أما في المخطوطة :

ورب لبيب ليس تندى جفونه   ورب كثير الدمع غير لبيب

(٤) من قصيدة يمدح بها أبا شجاع عضد الدولة ويودعه مطلعها :

فدى لك من يقصر عن مداكا   فلا ملك إذن الا فداكا

وقال عدي بن زيد (١) وقد أغفلنا ذكره في الشعراء المتقدمين :

يا لبينى أوقدي النارا ان من تهدين قد جارا (٢)
رب نار بت أرمقها تقضم الهندي والغارا
عندها ظبي يؤرثها عاقد في الجيد تقصارا

فبين في الشعر أنه أراد ناراً تبين وحدها وقد أوضح ذلك المعري بقوله :

ليست كنار عديّ نار عادية باتت تُشب على أيدي مصاليتا (٣)
وما لبينى وان عزت بربتها لكن غذتها رجال الهند تربيتا (٤)

ومما تأتي فيه رب للتقليل والتخصيص اتياناً مطرداً ويرى ذلك من تأمل الأشعار التي في الألغاز والأشعار التي يصف فيها الشعراء أشياء مخصوصة بأعيانها ، فانهم كثيراً ما يستعملون « رب » في أوائلها مصرحاً بها أو الواو التي تنوب مناب « رب » كقول ذي الرمة :

وجارية ليست من الانس تشتهى ولا الجن قد لاعبتها ومعي ذهني
فأدخلت فيها قيد شبر موفر فصاحت ولا والله ما وجدت تزني (٥)
فلما دنت أهراقة الماء أنصت لأعزله عنها وفي النفس أن أثني

---

(١) هو عدي بن زيد بن حماد بن زيد العبادي المتوفى سنة ٣٥ ق . هـ . شاعر جاهلي من أهل الحيرة . أنظر خزانة الأدب للبغدادي ١/١٨٤ ، الأغاني (دار الكتب) ٢/٩٧ ، السيوطي شرح الشواهد ص ١٦١ ، الشعر والشعراء ص ٦٣ ، المرزباني ص ٢٤٩ .

(٢) رويت الأبيات في الأغاني ٢/١٤٧ .

(٣) من قصيدة يخاطب بها أبا القاسم علي بن أبي الفهم القاضي التنوخي ، مطلعها :
هات الحديث عن الزوراء أوهيتا وموقد النار لا تكرى بتكريتا

(٤) هكذا البيت في الديوان (طبعة صادر) أما في المخطوطة .
وما تبين وان عزت بربتها لكن غزتها رجال الهند تربيتا

(٥) هكذا البيت في الديوان ، أما في المخطوطة :
فادخلت فيها قيد شبر موتر فصاحت ولا واقه ما وجدت تزني

وانما وصف بكرة ليستقي عليها ماء . وكذلك قول الآخر :

رب نهر رأيت في جوف خرج   يترامى بموجه الزخار
ونهار رأيت منتصف الليل   وليل رأيت نصف نهار
وثلاثين ألف شيخ قعوداً   فوق غصن ما ينثني لانكسار

يعني بالخرج الوادي الذي لا منفذ له ، وبالنهار فرخ الحبارى ، وبالليل فرخ الكروان ، وبالشيخ الرذاذ الصغير من المطر .

وقال الأغلب العجلي [1] ووصف ثعلباً أرسل عليه كلباً فعقره :

وثعلب بات قرير العين   لاقى مع الصبح غراب البين
وقد غدا مجتمع الشخصين   فاستقبلته بحضور الحين
طامة كلب أغضف الأذنين   ثم يهوي ثابت الساقين
إلى وجار بين صخرتين   والكلب منه راكب المتنين
فلم يرغه غير روغتين   حتى رأيت شلوه نصفين

وقال يصف صقراً :

يا رب صقر يفرس الصقورا   ويكسر العقبان والنسورا
فرء الأوز منه مستجيرا

وقال ابن الرومي :

ورازقي مخطف الخصور   كأنه مخازن البلور [2]

---

(١) هو الأغلب بن عمرو بن عبيدة بن حارثة من بني عجل . شاعر راجز معمر أدرك الجاهلية والاسلام ، استشهد في واقعة نهاوند انظر خزانة الأدب للبغدادي ٣٣٣/١ والمؤتلف والمختلف ص ٢٢ سمط اللآلىء ٨٠١ .

(٢) من أرجوزة يصف فيها العنب الرازقي . انظر الديوان .

وقال أبو الطيب وقد أمره أبو العشائر أن يصف بطيخة مر عليها عقد :

وسوداء منظوم عليها لآلئ لها صورة البطيخ وهي من الند

وكذلك قوله في ترجمة أمره أبو علي الأوراجي أن يصفها (١) .

ومنزل ليس لنا بمنزل ولا لغير الغاديات الهطّل

وكذلك قوله في صفة صيد شاهده مع ابن طغج (٢) :

وشامخ من الجبال أمرد جرد كيأفوخ البعير الأصيد(٣)

وانما أراد منزلاً معيناً وجبلاً معيناً ، ويدل على ذلك قوله :

[في مثل متن المسد المعقد] زرناه للأمر الذي لم نعهد

وكذلك قوله في اللعبة التي امتحنه فيها ابن طغج (٤) :

وذات غدائر لا عيب فيها سوى أن ليس تصلح للعناق

قال الأستاذ — أعزه الله — فهذه المواضع كانا « رب » فيها للتقليل ، وهي كثيرة جداً وانما تخيرت منها أوضحها ، وهذه حقيقة « رب » وموضوعها والله أعلم .

(يتبع) الدكتور ابراهيم السامرائي

---

(١) في الديوان : قالها ارتجالاً يصف كلبا أرسله أبو علي الأوراجي على ظبي .

(٢) في الديوان : واجتاز أبو محمد يمش الجبال فأثارت الدلدان خشفاً فتلقفته الكلاب فقال أبو الطيب مرتجلاً .

(٣) هكذا في المخطوطة ، اما رواية الديوان :

وشامخ من الجبال اقود فرد كيأفوخ البعير الأصيد

(٤) جاء في الديوان : وقال في وصف لعبة عند بدر بن عمار .

التعريف والنقد

تاريخ الأدب العربي في العراق

بين ٦٥٦ هـ و ٩٤١ هـ

للمحامي عباس العزاوي

عضو المجمع العلمي العراقي والمجمع العلمي العربي بدمشق

مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٣٨١ هـ ، ويشتمل مع فهارسه على ٤٣٢ صفحة

للمجمع العلمي العراقي بيض أياد على العلم والأدب ونشر تراث العرب ولا سيما الكتب المصنفة في تاريخ العراق ، ومنها ما هو للمؤرخين المتقدمين من علماء العراق كابن الفوطي وابن الساعي ، ومنها ما هو للمعاصرين كالاستاذ عباس العزاوي ومن تصانيفه المجلد الأول من هذا الكتاب وسيتلوه المجلد الثاني في التاريخ العلمي ، ونشر له من قبل تاريخ العراق بين احتلالين وتاريخ علم الفلك في العراق ، والتعريف بالمؤرخين وعشائر العراق تحت الطبع ، وغير ذلك من الرسائل التاريخية .

وبحث الاستاذ العزاوي مقصور في هذا المجلد الأول على عهد المغول والتركمان من سقوط الدولة العباسية إلى دخول العثمانيين بغداد ، ولقد عاين المصنف الأمرين في التحري والتنقيب لإظهار المادة التاريخية قائمة على وثائق التاريخ التي تصنف لنا الحركة الأدبية في ذلك العهد مما لا يتسنى إلا لأمثال العزاوي الذي اشتملت خزانة كتبه على نوادر مخطوطات لم تتوفر لغيره من رجال البحث والتحقيق .

والمصنف الفاضل يوافق ابن الطقطقي على أن الدولة المغولية رفضت علوم العرب والعربية كالنحو واللغة والشعر والتاريخ وعلوم الدين لأنها كانت وثنية ، ونفقت فيها علوم أخرى كالحساب لضبط المملكة وحصر الدخل والخرج ، وعلم النجوم لاختيار الأوقات ، وما يفيد المغانم والمنافع ، وليت الأستاذ المؤرخ بحث للعرب عن ذخائر كتبهم الأدبية التي قضى عليها الاحتلال المغولي بعد سقوط الدولة العباسية ، ولو عرفنا جميع ما أغرق أو أحرق من دواوين الشعر التي صنعها أئمة الشعر الثقات ، ومنها ما كان بأيديهم مكتوباً ومشروحاً ، ومنها ما لا نجد له اليوم أثراً في خزائن الأرض ، وقد يضطر الباحث منا إلى جمع شعر الفحول منها من كتب اللغة والأدب ، لو عرفنا ذلك كله أو بعضه لامتلأت قلوبنا لهفاً وأسفاً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويقسم المصنف أبحاث كتابه هذا الممتع على عهود ثلاثة :

١ — عهد المغول (الإيلخانيين) من ٦٥٦ هـ — ٧٣٨ هـ ،

٢ — عهد الجلايرية من ٧٣٨ — ٨١٤ هـ ،

٣ — عهد التركمان من ٨١٤ — ٩٤١ هـ .

وفي كل من هذه العهود أو الأدوار قد جعل المصنف القسم الأول في اللغة وعلمائها والعلوم العربية وعلمائها ، وجعل القسم الثاني للمنثور والمنظوم ، وخص الثالث بالنقد الأدبي ومصادره ، وأما الآداب العربية المرتبطة بغيرها من العلوم فقد أرجأ البحث عنها إلى (التاريخ العلمي) في العراق ، وهو المجلد الثاني من هذا الكتاب الذي سيطبع قريباً .

إن هذا الكتاب المفيد سيكون بما اشتمل عليه من وثائق تاريخية مرجعاً للباحثين عن تاريخ أدب العرب ، ذلك لأن مصنفه الفاضل من المنهومين المولعين بجمع المخطوطات النوادر من الوثائق والكتب الجليلة ، وفي صلب الكتاب

ذكر كثير منها ، وفي حواشيه عزو إلى تلك الوثائق والمصادر ، فهو بذلك مرجع ينشده الباحثون يريحهم من عناء البحث عمّا للمؤلفين المترجمين من آثار مخطوطة أو مطبوعة ، ويطلعهم على حركة العلم والأدب في الدول الأعجمية مما لم يبحث عنه الباحثون إلاّ بحثاً مجملا ، فجزى الله الأستاذ العزاوي عن الأدب وتاريخ قومه العرب أفضل ما يجزى به من أحسن عملا .

التنوخي

تأريخ بغداد لابن السويدي

الجزء الأول

بهذا العنوان صدر في بغداد كتاب أصل اسمه كما هو مرسوم على الغلاف (حديقة الزوراء في سيرة الوزراء) تأليف الشيخ عبد الرحمن السويدي لكن محققه الدكتور صفاء خلوصي الأستاذ في جامعة بغداد أحب أن يعلي عليه العنوان الأول لغرض تقديمه في ذكرى بغداد على ما فهمت .

وقدم له مقدمة تقع في ٣٢ صفحة ولكن لحظت في ص ٩ منها كلاماً منسوباً إلى الأستاذ عز الدين التنوخي في حينه فهمت منه أن نسخة الكتاب في المدينة المنورة في مكتبة عارف حكمت والذي فهمته من لسان بعض المطامين أن الذي في المكتبة المذكورة (النفحة المسكية في الرحلة المكية) لجد الأعلى الشيخ عبد الله السويدي (رض) ولعل الأستاذ التنوخي ينورنا برأيه الجديد والمحقق يؤكد (النسخة المكية) في الصفحة نفسها وما أدري .

ولا يتسع وقتي لتتبع ما في المقدمة فأنا اقتصر — لظروف خاصة — على

ما خفت مؤونته ولا يحوجني إلى مراجعة لأن المراجعة تولد مراجعات وفي ذلك ارهاق لراحتي التي أنا في أشد الحاجة إليها في هذه الأيام .

في ص ٥ من أصل الكتاب س ١٥ « توزري بابلة البصرة وصغد سمرقند » باهمال العين والصواب باعجامها قال شاعر الحماسة الذي كان يرابط هناك : —

وخافت من جبال السغد نفسي وخافت من جبال خوارزم (١)

وقد تكتب بالصاد ومما أذكره للدكتور أنه كان نشر مقالا في تصنيف الجند العباسي ذكر فيه (الفراعنة) بالاهمال وفسرهم بالأقباط ! بل (الفراغنة) صنف من الترك منسوبون إلى فرغانة .

وفي ص ١٥ « وأبرقت الصوارم وزهقت — كذا — الهاذم » .

وفي ح ٣ « الهذم الحاد القاطع من السيوف » وهذا غير ملائم لسبق الصوارم كأنه لم يسمع بقول زهير : —

ومن يعص أطراف الزجاج فانه يطيع العوالي ركبت كل لهذم

وفي الصفحة عينها —

صرعت ثعالبه الأسود فأصبحت محشورة بحواصل الغربان

وفي الح ٥ « في الأصل بالرفع — أي بضمة مرسومة على الباء — وهو عكس المقصود » وفاته أخذ المعنى من قول بشار في ص ٤١ : —

وجيش كجنح الليل يزحف بالحصى وبالشوك والخطي حمرا ثعالبه

وفي الح ٦ — في رواية أخرى (حمر ثعالبه) — فاختار الخطأ في المتن والصواب في الحاشية وكان عليه أن يأخذ معنى الثعالب من هنا .

في ص ١٦ — (فصل في توليه آمد) وفي الح ٦ « آمد ديار بكر وتعرف

(١) هكذا ورد في ديوان الحماسة ونصه : وخافت) .

أيضاً بارونه » وقد سبق في ص ١٣ — (فصل في توليته منصب الرهى) — كذا — وازها اسم آخر لاورفه كما أن آمد اسم آخر لديار بكر .

في ص١٨ « وسار بخيول سوابق ولتوت سواحق » وفي الح ٤ كلة أقران فقط بل ان (لتوت) جمع (لت) آلة ثقيلة قد تختلف أشكالها وأسماؤها .

في ص ٣٢ حكاية مذهب غريب في جهة الجنوب يبيح تسع نساء وكنا نسمع بهذا حتى وجدناه هنا ! والظاهر أنه يستند الى قوله تعالى (مثنى وثلاث ورباع) — ولأصحاب هذا المذهب أن يقولوا بإباحة ١٨ !؟؟

في ص ٤٤ ورد في المتن (ذاعنين) وفي الح ٤ (ضاعنين) وكان على المحقق أن يصححها بالظاء لا بالضاد .

في ص ٤٨ « وأكلة لتوت اللهاذم » لا تستغني العبارة عن واو عطف لأن المراد نوعان من السلاح لا (توت الأكل) .

(فصل في بيان غزوة زبيد واذلال كل ذي قوة عنيد) فان السجعة تفيد كسر باء زبيد مع أن الجاري على الألسنة بالتصغير فالعامة تقول (ازبيد) كما تقول (اعبيد) بالاماله وتفخيم الباء كما تقول (احميد) بالتفخيم أيضاً .

وجاء في أغانيهم (احبيب) ولالفنا هذا عجبت من شاب تونسي تخرج عندنا في هذه السنة كان يقرأ اسم نفسه (محسن الحبيّب) بالترقيق ونعجب هو من قراءتنا مراعاة للعامية . فويل لدعاة العامية المفرقة ! [1] .

وفي الصفحة نفسها (ولما سمعت بهذا الحال زبيد جمعوا كل طارف وتليد) وفي ذلك تأكيد الخطأ [2] .

(١) كان لنا صديق لبناني يقول (كبّاب) بالترقيق وكنا نضحك منه مع أنه الفصيح .

(٢) أن لفظ زبيد بالكسر اسم مدينة في اليمن منها الزبيدي شارح القاموس .

كما أنه استعمل صيغا عامية لغير ضرورة مثل (امتزّ) و (احتزّ) على البهجة البغدادية — ص ٤٧ — ٦٤ — ٦٧ .

ومن هذا الباب ما وقع في ص ١١٤ « نقطع الأعداء اربا اربا وفرق أحزاب المارقين وصبا » فهذا يدل على أنه كان يفتح الراء مع أنها بالسكون !

وفي ص ٤٨ « فهربوا هرب الفرى » فسرها في ح ٤ بالجبناء وهذا تفسير غير علمي لأن (الفرأ) بالهمز حمار الوحش وقد تسهل الهمزة فيقال (الفرا) ومنه المثل (كل الصيد في جوف الفرا) وفي التنزيل (كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة) كناية عن الجبناء والتفسير العلمي أن تفسر الكلمة من حيث اللغة أولاً .

في ص ٥١ « هذه النوب » أن تأنيث اسم الإشارة يوهم أن النوب جمع فالتبعة إما على المؤلف وإما على المحقق حيث فسره بالتاعب بل هو مصدر مفرد كالنزول والصعود وفي القرآن (وما مسنا من لغوب) أي تعب فينبغي تذكير اسم الاشارة .

في ص ٦٤ « فلم يلبث العدو زهى ساعة » وفي الح ٢ « الظاهر زهاء » لقد فات المعلق ما هو أدق من هذا في ص ٢١ س ٣ [1] .

ومثله في ص ٤٤ س ١٥ [2] ولعل الناسخ كان ضعيفاً جداً .

في ص ٦٥ مسألة عجيبة انصدرت عن قلم المؤلف ولم يحسن الدكتور تدار كها فقد جاء في المتن « وهؤلاء قوم يقال لهم اليزيدية يحبون زيد بن علي » فما اقحم زيد بن علي في قوم ينتسبون إلى يزيد بن معاوية ؟ وما أكثر الخابطين في

---

(١) نص العبارة « الان ، هي ثلاث ساعات .

(٢) نص العبارة « الانهى جذب الهند » والظاهر أن المؤلف كان يستعمل (إلا زهاء) بمعنى (الا ريثا) ثم يقصرها ويرسمها زهى .

تحقيق أصل هذه الطائفة كأنها لغز من الألغاز والمؤلف عراقي واليزيدية طائفة عراقية بينها وبين بغداد عشرة أيام في القديم وعشر ساعات في الحديث . ومن خاط في هذا جماعة أحدهم (الزعبي) ألفوا كتباً خبطوا فيها خبط عشواء ومن تورط في هذا البحث مؤلفا حلقة (العراق) من سلسلة (شعوب العالم) رقم ١٠ ص ٣١ .

وكان تعليق الدكتور في ح ٣ — « هذه نظرية جديدة لم يسمع بها من قبل » وكان عليه وهو بحاثة أن يتدارکها لا أن يتعجب ويكتفي بالتعجب ! — ان النحلة اليزيدية في أصلها (طريقة عدوية) نسبة إلى عدي بن مسافر الأموي الذي اتخذ له زاوية في جبال الموصل وكان له هناك شأن فجاء من خلفائه من أفسدها بالغلو وكانت يجاورها (طريقة صفوية منسوبة إلى الشيخ صفي الدين الاردبيلي في جهات آذربيجان فكان بينهما مباراة في الغلو المفرق بين المسلمين فكانوا (طرائق قددا) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجاء في المتن « ان الملا حيدر رجلا من الأكراد كان يزعم » وفي الح . « الأصح رجل لا (رجلاً) » وهو اعتراض متكلف ووجه النصب ظاهر ! وحيدر هذا يحتمل أن يكون من الصفوية . ومن رواسب الصفوية طوائف متاخمة لليزيدية عندهم كتاب اسمه (بويوروق) بالتركية منسوب إلى الشيخ صفي .

في ص ٦٨ ح ٥ « الباج اناوة تؤخذ على الغنم » وهو تفسير يخالف المستفاد من المتن وفي الأمثال العامية (الزم الحل وخذ باجه) . أهل بغداد إلى الجنوب يفخمون الجيم وأهل الموصل يفصحون الجيم [1] والأصل لهجة مضرية تنتهي إلى الأندلس وما أدري أصل لهجة الجنوب هل هي يمانية ؟ فاذا خرجت من البصرة لاقيت اللهجة المضرية في الكويت الخ ...

(١) مثلهم أهل تكريت وكل عرب الجزيرة وتقلب الهاء واواً .

في ص ٧٤ « دخل والد المؤلف والشيخ حسين الراوي على أمير الحويزة وكان ينظم قصيدة فوافقاه عند قوله :

ان كنت ازمعت هجراً أو ولعت به من بعد ودّ فانا حسبنا الله

فقال لهما أترويان الشعر ؟ فقالا له : — نعم وننظمه ... فأنشده الشيخ قصيدة على بحر قصيدته ورويها مطلعها :

عج بالمطي فان السعد وافاه والجد يعرف مأواه وممناه

وفي ح ٢ تعليق يفيد أن الدكتور يحفظ شيئاً في مصطلحات العروض وادعى أن الأفضل للراوي أن يأتي بضرب مخبون لا مقطوع « مع أنه لا شأن للضرب في هذا المقام بل الشأن للبحر والروي دع أن بيت الراوي مطلع والمطلع يجوز فيه التصريع وبيت الخان واقع في وسط القصيدة وليس هناك أفضل ومفضل عليه ولا مجال للمقارنة ودع أن التصريع أقوى مما ليس فيه تصريع .

وفي ص ٧٤ بحث في (موضوع الرؤية) عند المتكلمين قال الدكتور في ح ٤ « الكلمة غير واضحة فقد تكون الرؤية أو الرواية » ولم يكتف بذلك بل أضاف « والأرجح الثانية » أي الرواية !؟

وفي ص ٨١ مناظرة بين عالمين جاء في متنها لفظ (مضاددة) وفي ح ٤ « الأصل (مصادره) وهو غير واضح » .

في ص ٩٢ « حيث ظلت أعناق الناس لها خاضعة » وفي الح ١ « والأصل خاضعين » أي أن الدكتور أقام (خاضعة) مكان خاضعين مصححا ! وفاته أن المؤلف رمى إلى قوله تعالى (فظلت أعناقهم لها خاضعين) لملاءمة السجعة باعتبار أن الأعناق باضافتها إلى العقلاء أخذت حكم العقلاء تجوزاً .

ثم إن تأليف السويدي لا يأتي عصره بأحسن منه إلا أن في تتبع سجعاته

ما يهدم الهدم لا سيما أن الطبع غير متقن ومن يصبر على تنخيير مائة سجة ليحظى منها بجرعة ؟

والحق أن قيمة الكتاب بوثائقه لا برقائقه فالعمل مشكور من هذه الجهة وهو لا يستغني عن باحث يتتبع مطالبه التأريخية والأدبية وليس في وسعي إلا ملتقطات في غضون المطالعة ولست مسؤولاً عما فانني فقد أغمض عيني وأتخطى بعض السطور خوف الأرهاق .

وعسى أن لا يكون عملي مثبطا لعزيمة الدكتور عن طبع الجزء الثاني وأنا مستعد لمساعدته ان شاء .

الطائفة اليزيدية في شمالي العراق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قرأت في حلقة (العراق) رقم ١٠ من سلسلة (شعوب العالم) من مصدرات (دار المعارف بمصر) لمؤلفين كبيرين الأستاذين حسن محمد جوهر وكيل وزارة التربية ... ومحمد الحفني شمس الدين المفتش ... فصلا عنوانه : (اليزيديون) — ص ٣١ — جاء في أوله : « هم طائفة تدعي نسبتها إلى الإسلام فيحملون القرآن الكريم ويسمون أولادهم بالأسماء الإسلامية » إلى أن يقولا : وكلمة يزيدية مشتقة من أصل فارسي وهو (يزدان) وهو اله الخير عند الزردشتيين ... » وهذه العبارة تتضمن أكثر من عجب فليس هناك اشتقاق بل نسبة بإضافة ياء مشددة والنسبة إلى يزدان يزداني لا يزيدي وما علاقة إله الخير بعد اقتصارهم على تقدير إله الشر ؟

انها زلة كبيرة من المؤلفين الكبيرين بعد دعواهما انتساب اليزيدية إلى

الإسلام والجل فقرآن ... ويغلب على الظن أنها لم يكلفا نفسيهما مطالعة الكتب المعتبرة ولعلها لم يسمعا بها ... بل اكتفيا ببحث مستشرق قاصر أو مبشر ماكر أو رجعي خاسر يريد الرجوع بالمسلمين إلى الأديان البائدة متخذاً من حال اليزيدية ذريعة دنيئة لتفريق العناصر الإسلامية . وربما شجعوا (البهائية) أيضاً لهذا الغرض ! ومنهم من يشجع احياء (المواقد) !

لقد نضج البحث عن أصل اليزيدية وألف فيه متقدمون ومتأخرون ولا نريد أن نكرر مكرراً لولا اضطرارنا إلى تنبيه اخواننا في البلاد النائية ونحن نحيلهم على كتاب في اليزيدية لمرحوم أحمد تيمور باشا في مصر وكتاب للأستاذ العزاوي في العراق وعلى رسالة للإمام ابن تيمية في مجموعة رسائله الكبرى وعلى كتاب المقريزي الذي يذكر (الزاوية العدوية) بين الزوايا المصرية وعلى وفيات الأعيان لابن خلكان — حرف العين — .

أما تقديس اليزيدية الشيطان فهو بدعة نكراء جاءتهم من طريق غلاة التصوف وكان الشيخ حسن العدوي لقي ابن عربي المشهور وانظر (حوادث المائة السابعة) المطبوع في بغداد والمنسوب إلى ابن الفوطي خطأ ! ص ٢٧١ .

ووجهة نظر غلاة التصوف أن الشيطان أبى السجود لغير الله وتحمل الإهانة والحرمان في سبيل توحيد الله فكان سيد الموحدين ! لقد ضلوا وأضلوا وموهوا وكذبوا فإن الشيطان لم يأب السجود لغاية نبيلة إذ عارض الله وقال له (خلقتني من نار وخلقته من طين) ! (وقال أأسجد لمن خلقت طيناً) ؟ فحرفوا مقاصد الكتاب ولم يستحيوا من رب الأرباب .

واليزيدية في أصلهم مسلمون متعصبون للإسلام وكانوا على المذهب الشافعي كسائر الأكراد المجاورين لهم ولأنهم صوفية لا تزال بينهم مصطلحات صوفية كالقوّال وهو المنشد والفقير وهو المريد ونحن أخبر بهم لمجاورتنا لهم وممارستنا

لأحوالهم ولولا فشو الجهل بينهم لأمكن إعادتهم إلى الإسلام بالطرق الطيبة ويتهم عرب [1] لهجتهم قريبة من اللهجة السورية لأن أصل عدي (رح) سوري وأكثريتهم يتكلمون باللغة الكردية بحكم المجاورة وهم متوغلون في الشمال من القفقاس إلى الأنضول إلى سورية وكانت روسية تحميهم في العهد العثماني لما أراد العثمانيون إعادتهم إلى الإسلام بالقوة .

أما طائرهم الذي يجمعون به الصدقات ويقال له : (الديك) فانه رمز إلى (عزازيل) الذي كان سيد الملائكة في حينه ... وكان يتمتع بجمال فائق كجمال الطاووس بين الطيور !

ومن مصطلحاتهم (طاووس ملك) وهذه العجالة تكفي للتبصرة .

ان هذا المقال كتتمة وتفصيل لما استطردت إليه في تعليقي على تأريخ بغداد .

(بغداد) محمود الملاح

---

(١) العرب منهم يسكنون في بعشيقة وبحزاني من قرى الموصل ومن المنتسبين إلى بعشيقا الشيخ شمس الدين الذي غدر بأبناء بدر الدين لؤلؤ ملك الموصل الذي كان تمسك بزيف الطريقة وفي الأمثال (الالحاح يفت الجام) ؛ وفي الموصل مرقد يقال له مرقد (الشيخ شمس) يزعم اليزيدية أنه منهم ! ومن السهل ربط هذا الاسم بسجود اليزيدية للشمس عند طلوعها . ينظر مختصر تاريخ الدول لابن العبري ص ٤٩٣ إلى ص ٤٩٦ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آراء وأنباء

أنور الجندي

مؤرخ الأدب العربي المعاصر

مهما قيل في توجيه النظرية الإقليمية في الأدب والتنويه بالمذاهب المتفرعة عنها فان الذي نراه هو أن الأدب العربي يتلاقى على صعيد الفكرة الجامعة والاتجاه الموحد ، وأن أنصار الاقليمية ينهزمون كل يوم في ميدان الأدب وفي ميدان السياسة على السواء . لأن أمر العرب إلى وحدة وكلمتهم إلى جمع وان جد المستعمرون وأذنابهم في تفرقتهم والتضريب بينهم .

ولقد كنا وما زلنا نعتقد أن الأدب العربي وحدة لا تتجزأ ، وأن ما يجد فيه من مذاهب واتجاهات هي وليدة تفاعل أفكار الأدباء العرب والتيارات الفكرية الحديثة التي طرأت على الأدب العربي بواسطة الترجمة عن الآداب العالمية والاطلاع على الثقافات الأجنبية المختلفة ، وليس شيء منها متولداً عن طبيعة الاقليم والسكان وخصائص الجنس والوراثة كما يحلو لبعضهم أن يعلل ذلك ، ولا نستدل إلا بأن أي مذهب أو اتجاه ظهر في بلد من بلاد العرب ، لا يلبث أن يتردد صداه في بقية هذه البلاد وينمو ويزدهر على يد أبناء العرب كافة كما كان الأمر فيما مضى حين كانت طريقة المتنبي التي ظهرت في المشرق تجد من أبي القاسم ابن هانئ راعياً لها في الأندلس حتى سمي بمتنبي المغرب . وكان البحتري يتمثل في ابن زيدون . والمعري وابن شهيد ، هذا في رسالة التوابع والزوابع وذلك في رسالة الغفران ، يكادان يردان من نبع واحد .

ولما ظهر التوشيح في بلاد المغرب وراجت سوقه بين أدبائها لم يمتع أبناء المشرق أن اصطنعوه واستكثروا منه حتى ألفوا فيه كتباً مخصوصة .

كذلك كان الأمر في الوقت الحاضر ، فما أن ظهر بعد الحرب العالمية الأولى ما يسمى بالأدب المهجري من انتاج الأدباء اللبنانيين والسوريين المستوطنين في الأمريكتين حتى انتشر في العالم العربي وقلده الأدباء هنا وهناك . وفي فجر ظهوره وانتشار آثاره الأولى لجبران ونعيمة وأمين مشرق وغيرهم كان عندنا في طنجة محمد الحداد يكتب بذلك الأسلوب ويضرب على تلك النغمة حتى تحسبه أحد رواد ذلك المذهب . والآن نرى انتشار ما يسمى بالشعر الحر في العالم العربي وتجاوب دعاته وتحمسهم لبدعتهم بحيث لا يخلو قطر من الاقطار العربية من حامل لراية هذا المذهب ، فكيف يكون ذلك الا إذا كان الأدب العربي مظهراً لوحدة العرب ومادة عضوية في تكوين هذه الوحدة .

ان الذين يفهمون هذه الحقيقة كثيرون ، ولكن نشاط دعاة الاقليمية كان يطغى عليهم . ثم وقع الجزر في مد هذه الطائفة فاختفت أو كادت تختفي أمام الشعور الفياض الذي يغمر الشعوب العربية بوحدة تراثهم نتيجة لوحدة جنسهم ولغتهم وآمالهم وآلامهم .

وأمامي الآن عمل من أضخم الأعمال التي تشهد لهذه الفكرة وتدعم هذا الاتجاه ، وهو ثلاثة مجلدات ضخام من تأليف الأديب المصري المعروف الأستاذ أنور الجندي ، كل مجلد منها يؤرخ لناحية من نواحي النشاط الأدبي الذي قام في بلاد العرب منذ فجر النهضة الحديثة إلى الآن . فأولها يتناول موضوع « المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر » وثانيها يهتم بدراسة « المعارك الأدبية » في الشعر والنثر والثقافة واللغة والقومية والحضارة في العالم العربي

الحديث ، وثالثها يختص ببحث « الأدب الحديث » في معركة المقاومة والتجمع من المحيط إلى الخليج .

وهذه العناوين ليست دعاية فارغة بل هي واقع وحقيقة يتلمسها القارئ في كل صفحة من صفحات هذه الكتب التي لا تقل في اصغرها عن خمس مئة صفحة .

ومن عرف نشاط الأستاذ أنور الجندي وما له من عشرات المؤلفات في مسائل الأدب والتاريخ والفكر عامة ، يدرك مبلغ الإحاطة التي لكتبه هذه بالشاذة والفاذة من المسائل التي تناولها فيها .

فالمجهود جبار لا يتأتى إلا لجماعة من المختصين المنقطعين لهذا النوع من التأليف لو كانوا هناك ، ولكن واحداً من ذوي الهمم العالية والصبر المنقطع النظير والفهم العميق للأوضاع الفكرية القائمة في مختلف بلاد العرب التي تتداعى فيها الاتجاهات والأنظار ، هو أنور الجندي ، استطاع أن يقوم بهذه المهمة الشاقة وأن يؤديها بمفرده على أتم وجه .

انها في الحقيقة موسوعة أدبية تضاهي في قيمتها التاريخية ، بالنسبة للأدب العربي الحديث ، تاريخ الأدب العربي لبركلمان الشهير ، على أنها حسب برنامج الأستاذ المؤلف ما يزال لها ذيول طويلة تخرج بها في عشرة مجلدات تتناول معركة التغريب في الفكر العربي والصحافة السياسية في الأدب العربي المعاصر والشعر العربي المعاصر والقصة العربية المعاصرة ومعالم الأدب العربي المعاصر بين الحربين ومعالمه بعد الحرب الثانية ، وحقائق السياسة والفكر والاجتماع في الأمة العربية ، وهو برنامج حافل نرجو للأستاذ أنور الجندي أن تتاح له وسائل تحقيقه مع تمنياتنا له بدوام الصحة والعافية وأنه لمحققه بحول الله .

عبد الله كنون

غير — الغير

المعاجم ، أم المعجمات ، أو كلاهما

اللغات ، مجلة عربية اللغة والنزعة ، تصدر في تونس الخضراء ، وتُعنى عناية خاصة بالأدب والنقد .

ومن كتابها الذين ينبهون على ما تقع فيه الألسنة والأقلام من أخطاء : الدكتور الطاهر الخميري ، والدكتور ابراهيم السامرائي .

أنكر الدكتور السامرائي على زميله الخميري في المآخذ التي أخذ بها غيره من الكتاب : أن ادخل (ال) على « غير » في قوله « التعبير الغير الدقيق » وانه جمع مُعجم على « معاجم » وحقها أن تجمع على « مُعجمات » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكتبتُ كلمة بعثت بها إلى مجلة « اللغات » التونسية اصلة لي بها . ثم رأيت أن مثل هذه الموضوعات من حق المجامع أن تُعرض عليها ، لتبت فيها .

وهذا بعض ما كتبته في هذا الموضوع . أعرضه على أعضاء المجمع وقراء مجلته ، ليكون الرأي رأي جماعة ، لا رأي فرد .

١ — غير — هل يجوز دخول أداة التعريف عليها أم لا يجوز ؟ هذه مسألة من المسائل التي كثر النقاش فيها . أنكر تعريفها كثيرون ، بحجة أن (غير) متوغلة في الابهام فلا يفيدها التعريف تعريفاً .

وعرفها بل كثيرون من المتقدمين والمتأخرين . قال السجاعي في باب كان وأخواتها : (كيف ، للاستفهام الغير الحقيقي) وقال الموربقي في مقدمته على المحيط : (ويترك الكلمات الغير المفتوحة) .

ادخل السجاعي والموربتي (ال) على (غير) في حيث كانا في غنى عن ادخالها ، لتمام المعنى من دونها . فلو أنهما قالا (للاستفهام غير الحقيقي) أو (الكلمات غير المفتوحة) لما اختلف المعنى . ولكان التعبير أخف وأرشق . والله تعالى يقول : (غير المغضوب عليهم) وهو الأسلوب العربي المُستساغ ، به يقتدى وعلى منواله ينسج [1] .

بقي أن القول : بأنه لا يجوز دخول أداة التعريف على (غير) لتوغلها في الابهام قول فيه نظر . فالنكرة تعرف بالإضافة ، كما تعرف (بال) فكيف جاز لنا أن نقول (غيري) وقال (غيره) وهل قولنا : (غيري فعل هذا) أكثر تعريفاً من قولنا (الغير فعل هذا) ؟

أما وقد جاز تعريف (غير) بالإضافة ، فلم لا يجوز تعريفها (بال) حيث تقضي الضرورة ؟ قد يكون السبب في هذا المنع ، أن غير إذا دخلت عليها أداة التعريف ، لا يجوز أن تضاف إلى معرفة مثلها فقولنا : (الغير المغضوب عليهم) مما تنبو عنه الآذان ، ولا تستسيغه قواعد اللغة .

ثم ان (غير) إذا دخلت عليها (ال) منقطعة عن الإضافة كانت أخف وقعاً وأكثر سواغية . أليس في قول الموربتي في مقدمته على المحيط : (توجيه الكلام نحو الغير) اوقع في الأذن من قوله نفسه ، في المقدمة نفسها (وبترك الكلمات الغير المفتوحة) ومن قول السجاعي : (كيف للاستفهام الغير الحقيقي) ؟

(١) وأسوأ من دخول (ال) على المتضايفين ، وأبعد عن قواعد اللغة ، وأعرق شذوذاً في الاعراب ، دخولها على المضاف دون المضاف إليه . في مثل قولهم (الغير دقيق) و (الغير حقيقي) .

واستئناساً بهذا ، استعمل رجال القانون ، ومن قبلهم رجال الشريعة (اعتراض الغير) [1] والغير هنا لها مدلول واضح ، ينفي عنها الابهام .

• • •

٢ — المعاجم ، ومما أنكره الدكتور السامرائي جمع (مُعجم) على (معاجم) قال :

ان (مُعجَم) بصيغة اسم المفعول ، ولا تعرف في العربية أن (مُفعَلاً) تجمع على (مفاعل) فهو جمع مُستحدَث مبني على التوهم .... والوجه أن يقال (مُعجمات) .

قال :

« وقد وقع شيء من ذلك في مطلع هذا القرن . فقامت خصومة لغوية بين أسعد داغر والأب أنستاس الكرملي [2] ... وقد ظن جماعة أن « المصاحف » مثل المعاجم ظناً منهم أن المفرد هو « مُصحَف » بصيغة المفعول . وفصيحه (مِفعل) بزنة اسم الآلة . »

نقول : ليس من خلاف في أن (مُفعَل) بصيغة اسم المفعول يجمع قياساً على (مُفعَلات) غير أن لفظة (مُصحَف) التي عدها الناقد بزنة اسم الآلة هي (مُصحَف) اسم مفعول من أصحِف : أي جمت فيه الصحف .

فلا علاقة له باسم الآلة .

ومثل المُصحف :

(١) اعتراض الغير طريقة يلجأ إليها شخص ثالث اعتراضاً على حكم مجحف بحقه .

(٢) ليت الدكتور السامرائي ذكر لنا شيئاً عن هذه الخصومة اللغوية لنفيد منها في كلتا هذه .

المُجَسَّد ، اسم مفعول من « أجسد » أي ألزق بالجسد .

والمُطرَف ، اسم مفعول من « أطرف » وهو الثوب يجعل فيه علمان .

والمُغزَل ، اسم مفعول من أغزل : أي أدير وفتل .

لا اسم آلة من غزَل وان كان له وجه صحيح .

والمُخدَع : وهو اسم مفعول من أخدع أي كتم وأخفي أو هو اسم مكان .

وجعله سيبويه اسماً .

هذه الألفاظ جاءت كلها بصيغة اسم المفعول (مُفعَل) وجمعت على (مفاعل) فقالوا مَصاحف ، ومَجاسد ، ومَطارف ، ومَغازل ، ومَخادع ، جمعاً لمُصحَف ، ومُجسَد ، ومُطرَف ، ومُغزَل ، ومُخدَع ، على الأصل ، ولغة قيس . أما تميم فقد استثقلوا الضم فعدلوا عنه إلى الكسر . وكُتب اللغة ، تذكر اللغتين : الضم والكسر . ونحن بعد في الخيار ، نضم متابعة لقيس وللأصل ، أو نكسر مشايعة لتميم وللتخفيف .

ولو أن العرب استعملوا (مُعجَم) في ما استُعمل له اليوم ، لما ترددوا في جمعه على (معاجم) .

وأصحاب (المعجم الوسيط) ولهم مكانتهم اللغوية . جمعوا (مُعجَم) على معاجم وعلى (معجمات) .

وكثيرون غيرهم ممن يستأنس برأيهم جموه هذا الجمع .

والرأي بعد ، في هاتين اللفظتين للثقات من أساتيذ اللغة .

عارف النكدي

عالم الأندلس البكر

متى يكتب له النور

عالَم الأندلس ، ما زال عالماً بكراً ، لا نعرف عنه إلا الأقل . ولا يمكن أن يُغتفر في هذا العصر الذي انحسرت فيه جميع القيود والحدود ، أن يظل تراثنا الأندلسي مجهولاً عند الخاصة ، بله العامة ، لا سيما وأن العرب قد طالت مدة ضيافتهم [1] في هذه البقعة الأوربية حتى بلغت ثمانية قرون . فما يدرَّس في مدارسنا إلا النزر اليسير عن تاريخ هذه الحقبة التي كادت تبلغ ثلثي مدة عيش الإسلام في الدنيا . وعناية الباحثين لا تنقع غلة حتى اليوم . وليس بين أيدي الذين يريدون أن يتتبعوا ما كان في هذا الفردوس المفقود من علم وحضارة وعمران وتاريخ أي دليل منظم ، ولا غير منظم ، إلا ما وضع الفرنجة ، إما بشكل موجز ، يمرّقون فيه الناس على ما في أراضي دولتهم ، وإما دراسات لبعض علماء المشرقيات ، ليس فيها ، على جلالتها ، الغناء أو كل الغناء . وكلاهما بلغات غريبة عن العربية ، قلَّ أن ينتفع بها طلاب المعرفة من أبناء العروبة . وما أدري ماذا صنعت جامعة الدول العربية ، ومعهد مخطوطاتها ، الذي صور قرابة مئة ألف مخطوط ، كثير منها عن مكتبات اسبانيا ؟ وهل قنعت في رصّ هذه الأفلام في خزائنها ؟

ولقد دلتني الرحلتان القصيرتان اللتان قمت بهما إلى اسبانيا ، في نيسان وتشرين الثاني من عام ١٩٦٢ ، على أن تراثنا ما زال بعضه بين أيدي الناس ، ولعله لا يقل أهمية عما في الخزائن العامة ، إن لم يكن أهم منه . ذلك أنني تعرفت

---

(١) استعرت تعبير (الضيافة) من الكتاب الجليل الذي بدأه ، ولم يتمه العلامة الأمير شكيب أرسلان رحمه الله وسماه (الحلل السندسية ، في الأخبار والآثار الأندلسية) . ولم يصدر منه الا ثلاثة أجزاء . والأجزاء الباقية بقيت في طي الغيب . [راجع الجزء الأول — صفحة ١٠٤) .

في مدريد على القائم بأعمال الجمهورية اللبنانية فيها ، الأستاذ عادل اسماعيل ، وهو رجل مثقف مطلع ، مختص بالتاريخ الإسلامي ، وأطلعني على مخطوطة عربية ابتاعها من الأسواق ، اسمها (نظام الحلل في تاريخ الدول) للسان الدين ابن الخطيب . والكتاب معروف ومطبوع ، ولكن الذي استرعى انتباهي أمران اثنان :

أولهما — أن هذه المخطوطة قد كتبت في عصر المؤلف [1] ، فقد جاء في آخرها : كتب يوم السبت في ٢٠ جمادى الثانية ٧٦٣ هـ ، فهي إذن من أصح النسخ ، وأوثقها .

وثانيهما — وهو أهمها أن الأستاذ عادل اسماعيل ، قد ابتاع هذه المخطوطة من وراق عادي في مدريد القديمة . وهذا الوراق قد وصلت إليه من إحدى التركات . وهذا يدل على أن الكثيرين من الإسبانيين ما زالوا يحتفظون حتى اليوم بالمخطوطات العربية في دورهم ، بدون أن يعرفوا قيمتها ، ولا محتواها . ولعلنا لو بحثنا عما في أيدي الناس من هذه المخطوطات لوجدنا الشيء الكثير ، ولعل البحث يكشف عن كنوز أعظم وأثمن من الكنوز التي تحتويها خزائن المكتبات العامة .

إننا نرى البعثات الأجنبية الأثرية (دانمركية وفرنسية وأمريكية وغيرها ...) تفد إلى البلاد العربية للبحث والتنقيب عن آثار الحضارات القديمة ، على اختلاف أعراقها وأزمانها ، وتنفق حكوماتها في هذا السبيل الأموال الطائلة ، وهي لا تبغي من وراء ذلك إلا خدمة العلم ، خدمة خالصة ، من دون أن تكون لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بهذه الحضارات ، ولا بأهليها ، وهي ليست منتسبة إليها من قريب أو بعيد ، إلا بنسبة الإنسانية والعلم والحضارة ، وأكرم بها من نسبة .

(١) توفي لسان الدين عام ٧٧٦ هـ أي أن هذا المخطوط كتب قبل ثلاثة عشر عاماً من وفاته .

ونرى إلى جانب ذلك دولاً عربية حرة ، منتشرة من الخليج إلى المحيط ، وفيها وزارات الثقافة والإرشاد ، وفيها مجامع علمية وجامعات ، ولها سفارات ، ولم نعرف أن واحدة منها قد فكرت في أن تخدم آثار حضارتنا نحن في الأندلس ، التي عاشت حية ثمانمئة سنة ، ثم امتدت إلى ما بعد ذلك بقرون ، ولا أبالغ إذا قلت أنها ممتدة إلى يوم الناس هذا ، وهي بحر زاخر ، قد يستغرق الإلمام به عدداً عديداً من السنين ، هذا إذا جند له المختصون من العلماء ، المخلصون في خدمة العلم ، وليسوا قلة ولله الحمد ، بل هم عدد وفير ، ومنهم من يتلهف على تحقيق هذا الغرض النبيل .

وقد تعجب حينما تعلم أن بعض الاسبانيين ، الذين يفاخرون بأن أصلهم عربي ، قد عادوا اليوم إلى تزيين دورهم بالأحرف والأرقام العربية ، فلقد رأيت بأم عيني كتابات وأرقاماً عربية في الطريق بين مدريد وطليطلة ، على جدران البيوت الخارجية ، اعتزازاً بها وتمجيداً لأصحابها ، ثم ترى عزوفنا ، نحن العرب ، عن أن نعرف ماذا كان في هذه الرقعة من الأرض ، وماذا فعل العرب فيها ، ومَن أنجبت ، وماذا تركوا من مخلفات ، في شؤون الفكر والعلم ، أو في شؤون العمران ، أو في غير ذلك .

ولم يكن يخطر لي في بال ، أن اللغة العربية ، بقيت لغة الناس في طليطلة خمسمئة سنة بعد جلاء المسلمين عنها ، حتى قرأت ما أورده الأمير شكيب رحمه الله في معلمه الأندلسية — الحلل السندسية — نقلاً عن المستشرق الإسباني (أنجل غوانزاليز بالانسيه Angel Gonzalez Palencia) الذي كان أستاذاً للأدب العربي في مجريط [1] « لقد جمع هذا الأستاذ تحت عنوان (نصف العرب ، أو موزاراب طليطلة ، في القرنين الثاني عشر والثالث عشر) عدداً كبيراً من الصكوك والوثائق التي كانت تكتب في طليطلة لذلك العهد ، فبلغ ذلك

(١) راجع ص ٣٦٦ من الجزء الأول .

ثلاثة مجلدات ، فيها ما يناهز ألف صفحة بالقطع الكبير مع ترجمتها بالإسبانيولي » .

وقد ساق الأمير رحمه الله نماذج من هذه الوثائق والصكوك (١) ، وكلها مكتوب بعد عام ١٠٨٥ للميلاد ، أي بعد أن خرجت طليطلة من أيدي المسلمين . ومواضيع هذه الصكوك كثيرة التنوع ، بحيث لم تترك ناحية من نواحي المجتمع الطليطلي إلا امتدت إليها ، وفي هذه دلالة واضحة على أن العربية كانت لغة المجتمع بأسره ، لا لغة حاجة معينة ، ولا لغة المترفين أو المثقفين أو الارستقراطيين . فترى في هذه النماذج مثلاً عقود بيع وشراء ، وفي بعضها إشارة إلى بوار البساتين وقطع الثمار ، وفي عقد آخر تصريح بأن حدود الدار المبيعة في الشرق إسطبل كان مسجداً في القديم (كذا) ، وفي غيرهما دلالة على أن الأسرى من النصارى والمسلمين كانوا يباعون بالمناداة وبالوثائق ، وفي صك رابع ترى شراء المسلمين لحريتهم ، وهي (المكاتبة) المعروفة في الشريعة الإسلامية ، وفي بعض الوثائق سندات دين ، أكثر المتعاملين فيها من اليهود . ومن غريب هذه الصكوك صك يتضمن استرهان الأسارى ، والتعامل بهم ، كأنهم من جملة الأموال . وأعجب منه صك وقف ، كان الواقف فيه مسيحياً ، وكان القاضي عربياً أو مستعرباً ، بعد نحو مئة وسبعين سنة من جلاء المسلمين عن طليطلة ، كما كان صاحب المدينة منهم . كذلك عقود النكاح بين النصارى كانت تدون باللغة العربية ، كما يدل على ذلك صك مكتوب عام ١٢٢٣ م أي بعد مئة وثمان وثلاثين سنة من الجلاء . ومن بينها أيضاً عقود الوصية . ومما هو حري بالبحث والدرس لغة هذه الصكوك والوثائق ، والاصطلاحات الكثيرة الواردة فيها . وقد اجتهد الأمير رحمه الله في حل كثير من غامضها .

هذا بعض الأثر الذي تركه العرب في إسبانيا ، حتى بعد جلائهم عن بعض مناطقها . لقد انتدب هذا الأستاذ الإسباني نفسه لجمع هذه الصكوك والوثائق ،

(١) من صفحة ٣٦٦ إلى صفحة ٤٢١ من الجزء الأول .

ولعل فيما لم يمثل به الأمير رحمه الله ، في النزر اليسير الذي نقله ، نواحي أخرى خليقة بأن تكشف لنا عن بعض حقائق تاريخنا ، أو امتداد تاريخنا في اسبانيا . وكم يا ترى مثل هذه الكنوز ، في الأرض الأندلسية ، ولا يدري أحد عنها شيئاً ؟

ومن أعظم ما كشف الأمير الأرسلاني عنه رحمه الله في كتابه هو المراسلات السلطانية بين ملوك ووزراء العرب والفرنجة ، وهي وثائق أهداها إليه الحاج محمد العربي بنونة من أعيان تطوان ، وقد ساقها مع التعليق عليها في قرابة مئة وعشرين صفحة من الجزء الثاني (١) . والذي يفهم مما أورده الأمير أن هذه الوثائق أهديت إلى أخ الحاج محمد العربي بنونة ، ولكنها ناقصة ، فقد ورد في الكتاب الذي بعث به إلى الأمير قوله (٢) : « ولم يقدموا المجموعة لمرحوم أخي كاملة ، لأن أرقامها غير مرتبة . ولست أدري هل ذلك مقصود منهم ، أم من باب المصادفة ؟ »

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومما يدخل في هذا الباب ولا يقل عنه شأناً وثائق أخرى رآها الحاج المشار إليه في مدينة (سلا) وقال عنها ، تتمة لكتابه السالف الذكر : « أقول هذا لأني أذكر أنني رأيت عدة ظهائر (٣) موجودة بهذه المجموعة عند المرحوم محمد بن الحسن سامي ، أحد الغواة (كذا) بجمع الآثار بمدينة سلا ، وأذكر أنها واضحة الكتابة أكثر من هذه ، وبها تمديد مثالب بعض الأمراء الاسبانيين ، رأيتها سنة ١٣٤٨ ، في آخر مرة زرت فيها المنطقة السلطانية ، أي قبل صدور الظهير البربري الذي منع دخولنا إلى تلك المنطقة . ثم توفي سامي إلى رحمة الله . ولست أدري ما صنع الله بمجموعته . »

(١) من صفحة ٢٢٩ من الجزء الثاني حتى آخر الكتاب .
(٢) الجزء الثاني صفحة ٢٨٦ .
(٣) كأنها تفيد : المراسيم بلغة هذا العصر .

هذا غيض من فيض ، أو نقطة من بحر ، مما عرف الناس عن حكم العرب لاسبانيا . كشف بعضه الفرنجة ، وما زال الباقي ينتظر همم العرب من أبناء هذا الزمان لكشف عنه .

ان المدة الطويلة التي عاشها المسلمون في اسبانيا ، تؤلف جزءاً ضخماً من تراثنا الضخم . ولست أفاضل بين مشرق ومغرب ، كما كان يفعل الأقدمون ، بدافع من العصبية التي محاها الإسلام ، لا سيما وأنه لم يبق لنا من الأندلس إلا التراث والذكرى . ولكني أعتقد أن العبقريات الكبيرة التي نبغت في أرض الأندلس[1] ، وكاد ذكرها يندرس ، لا تقل عن العبقريات التي نبغت في المشرق . وقد وجد شآميون حرصوا على نشر بعض ما يتعلق بالشام ، ووجد قاهريون نبشوا بعض ما ألف عن القاهرة أو فيها ، و كذلك في بغداد وتونس والمغرب . أما الأندلس فقد أضحت في زماننا هذا ، ومنذ نحو خمسمئة عام يتيمة ليس لها من يكشف محاسنها ، ويجلو مفاخرها ، الا ما اتفق لبعض الأفراد من العرب أو الفرنجة ، وهو أقل من القليل . فينبغي أن يعتبر تراثها تراثاً مشتركاً بين العرب كافة يأخذ كل فريق منهم بنصيب في خدمة آثارها ، ولا أغالي إذا قلت : أحجارها الباقية . واني لأهيب بالدول العربية ، وبالمجامع العلمية ، وبالجامعات ، وبوزارات المعارف ، أن تولي هذا الموضوع الخطير حقه من العناية والاهتمام ، وأن تختار جلة من العلماء ، يصحبهم فريق من الشباب المثقف ، لينصرفوا الى أحصاء مخلفات العرب في الأندلس ، في جميع الميادين ، احصاء علمياً دقيقاً ، قائماً على البحث ، متدرعين بالصبر الطويل ، وإن تمادى ، وأن ينشر من المخطوطات ما هو خليق بالنشر ، سواء أكان يتعلق بالعلم ، أم بتاريخ العلم ، وسواء أكان في الأدب ، أم في غير ذلك من الشؤون . فلقد

(١) رأيت عجباً من العجب في تراجم من نبغ في طليطلة وحدها من الأئمة . ولعلي أفرد لذلك بحثاً خاصاً .

أشار الأمير الأرسلاني رحمه الله إلى العناء الذي كابده في زيارة خزائن الكتب العامة (١) ، وكم قضى فيها من الأيام ، باحثاً منقباً ، وناسخاً أحياناً .
وليس هذا العمل ، في هذه الأيام ، من عمل الأفراد ، وانما هو منوط بالدول أو المؤسسات العامية التابعة لها ، فهي وحدها القادرة على الإنفاق ، وهي وحدها المسؤولة عن احياء التراث . أما عمل الأفراد ، فلا يعدو أن يكون رغبة اعتلجت في النفس ، أو هوى استأثر بها واستبد . وليس فيه الغناء المنشود ، وإن كان لا يخلو من نفع .

انا نرى الباحثين في عصرنا هذا من علماء الغرب ، يحرصون على قصاصة ورق تتعلق بتاريخ أمتهم ، أو على نقش تافه باق على حجر قديم ، أو على أي أثر من الآثار التي تتصل بحضارتهم ، مهما قل شأنه . وترى العالم منهم يطوي البراري ويركب البحار ، ليبحث عن موضوع صغير ، أثيرت حوله شبهة ، أو ظهرت فيه روايات . ونحن نرى بين سمعنا وأبصارنا عشرات الألوف من المجلدات ، وما لا يحصى من الآثار الشواهد البواقي ، ولا ندري عنها شيئاً ، ولا نسعى لنشرها بين الناس ، ولا نعلّم أبناءنا ما ينبغي أن يعلموا في المدارس . ولو كتب لك أن تلقي نظرة على برامج التاريخ في جميع مراحل التعليم ، لأنكرت كل الإنكار هذا الاهمال الذي شمل الأندلس ، وهي كما قلت ، ثلثا عمر المسلمين في الدنيا .

اني لأرجو أن تلقى هذه الدعوة حقها من العناية ، وأن لا تكون صيحة في واد .

ظافر القاسمي

---

(١) راجع في الصفحة ٣٥٠ وما بعدها الوصف الرائع لخزانة الكتب الوطنية في مجريط وحدها .

تسمية ثلاثة شوارع بأسماء
المرحومين محمد كرد علي وخليل مردم بك ومحمد البزم

القرار ذو الرقم ٨٥/٦١

الصادر يوم ١٣٨٢/٣/٤ و ١٩٦٢/٨/٤

ان المكتب البلدي :

بنـاء على كتاب رئاسة المجمع العلمي العربي بدمشق رقم ١٢٥ تاريخ ١٩٦٢/٦/٦ المتضمن اقتراح تسمية شارعين من شوارع مدينة دمشق باسم العلامة المرحوم محمد كرد علي والشاعر الكبير المرحوم خليل مردم بك . وبناء على كتاب وزارة الشؤون البلدية والقروية رقم ٤٣٦٢/ص — ١/١ المتضمن الموافقة على تلبية الطلب واتخاذ الاجراءات اللازمة .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبناء على حاشية رئاسة مكتب التخطيط المؤرخة في ١٩٦٢/٧/١٦ المتضمنة اقتراحها تسمية الشارعين المطلوبين الأول باسم شارع خليل مردم بك ويمتد بين شارع عبد الملك بن مروان شرقا وشارع عدنان المالكي غرباً .

والثاني باسم شارع محمد كرد علي ويمتد بين شارع عدنان المالكي شرقاً وحتى الساحة الواقعة في نهاية شارع الرشيد غرباً وذلك كما هو مبين على المصور المرفق .

وبناء على حاشية مديرية الشؤون الفنية المؤرخة في ١٩٦٢/٧/١٧ .

ولما كان المكتب قد رأى تسمية الشارع الممتد بين شارع عدنان المالكي شرقاً والشارع الممتد من ساحة الأمويين باتجاه منطقة الجريد غرباً باسم شارع محمد البزم وذلك لذكرى هذا الشاعر الكبير .

وبناء على الصلاحيات التي يمارسها بموجب القانون .

وبعد المذاكرة :

قرر ما يلي :

١ — تسمية الشارع الممتد بين شارع عبد الملك بن مروان شرقاً وشارع عدنان المالكي غرباً باسم شارع خليل مردم بك .

٢ — تسمية الشارع الممتد بين شارع عدنان المالكي شرقاً وحتى الساحة الواقعة في نهاية شارع الرشيد غرباً باسم شارع محمد كرد علي .

٣ — تسمية الشارع الممتد بين شارع عدنان المالكي شرقاً والشارع الممتد من ساحة الأمويين باتجاه منطقة الجربد غرباً باسم شارع محمد البزم .

وذلك كما هو مبين على المصور المرفق .

نشر في ١٩٦٢/٨/٦

أمين العاصمة

ابراهيم الحمزاوي

أمين السر

التوقيع : محمد الجبان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com